مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢ — ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

احمد فتحي زغلول

(١٣٣٢ هـ)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولد في ابيان من عمل الغربية في مصر وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الاسم الذي اختاره له أبوه « فتح الله صبري » فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه من النبوغ سماه باسمه « احمد » واختار له من الألقاب « فتحي » فكان احمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف الى أوربا فحذق علم الحقوق في باريز وتمكن من الآداب الفرنسية وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين وهو الذي وضع لائحة اصلاح الأزهر ولائحة اصلاح المحاكم الشرعية . وكان أترابه يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد الخالق ثروت من علماء مصر وقضاتها انه « نبغ في المعقول والمنقول ومعه الأدب الجم تزينه البلاغة ويزنه المنطق الصحيح الى العلم الغزير ،

وأيته الحكمة ، وتؤيده قوة العارضة الى صفات نادرة في تصريف الأمور » ، وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ، وذا ذوق سليم فيما لم يعانه من الفنون وعلى جانب من دماثة الأخلاق والتواضع والبعد عن الدعوى يجمع الى هذا كله « شغفاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته يقصر دونه جهاد رجال في أعوام ، ولم يقصر همته على أعمالها الكثيرة المظيمة بل كنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة » « حياة كلها جهاد وعمل لم يؤت فيها عقله وجسمه قسطهما من الراحة ، مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالباً نواميس الطبيعة » .

كان رجل عمل يدعو الى تحبيبه الى الناس وتعليمهم طريقته الرشيدة ولم يكن رجل ثورة لأنه يكره الثورات ويعتقد مضرتها ، وعنده أن القانون الحسن ما احتملته الأمة ونفذته راضية به مستعدة له ، ويرى أن خير التعاليم السياسية والاجتماعية ما لاءم طبائع الأمة وكانت فيها قوة على خصمها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بذ الأقران لم يجمع مالاً ولم يتأثل عقاراً ، ولم يترك درهماً ولا ديناراً » ، وقالوا في صفاته الشخصية انه كان حسن العشرة حلو المفاكهة ، نزيه النفس واللسان ، يرضي كل جليس بغير دهان ، لا يمل جليسه جده ، ولا يعبث بوقاره هزله ، وكان متأنقاً في زيه ومعيشته من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضري من أساتذة العصر في مصر : « أما خلقه فقد منح منه ما يحببه الى النفوس ، ويقربه الى القلوب طلاقة وجه وسعة صدر وتواضع الأشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة رأيناه منا قريباً على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة في تخطئة الرأي فيفسح لها صدره ، ويلقاها لا تأفف ولا ضجر . وأما اطلاعه على دقائق الفقه وأسراره فقد كنا

نجلس اليه وقد محصنا المسألة تمحيص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الأقران الى ما يخيل الينا أن الفقه علينا موقوف وعن غيرنا مصروف ، فلا نلبث ان نرى ذلك السيل الدافق وقد رجعنا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما يعارض به عال الفقهاء ، وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على ما يخالفها من جزئيات المسائل فكان يحمل جليسه على البحث والاستقصاء ويعدل الفكر اذا زاغ ، ولم يكن سمره وعمله الا فيما يرضي ضميره من كتاب يؤلف أو بترجم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته » .

أتقن من لغات العلم الألمانية والانكليزية والفرنسية مئات من المصريين والشاميين والتونسيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تفاخر لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ولكن احمد فتحي زغلول أحكم الفرنسية والعربية وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها يحملها لأمته فينير سبيلها الى العلم ويدعوها الى النهوض ، وما ألف ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس لا ليقال انه ألف ونقل فما نقل وجوّد فيه ، وكل تآليفه وترجماته كان محوداً فيها ، « أصول الشرائع » لبنتام و « خواطر وسوانح في الاسلام » لدي كاستري و « سر تقدم الانكليزالسكسونيين » لادمون دي مولين وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، ومما عرّب عن الحكيم غستاف لبون « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » وترجم « جوامع الكلم » و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان عبد العزيز بنصحه فيها ويذكر له ما أصيبت به دولته من الانحطاط » . ومن تآليفه « المحاماة » و « رسالة في التزوير الخطي » و « شرح القانون المدني » ويقول علماء هذا الشأن ان هذا الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق . وكان له فضل في وضع المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختار من العربية ما ينطبق عليها . وكان دقيقاً فيما ينقل يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف لا يمسخ ولا يحرف . وبلغ من تضلعه من الفرنسية أن كان يلقي نظرة على كتاب علم كتب بها ويترجم عبارته ببيان

عذب لا يشعر جليسه أنه يترجم بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان الغربي أجمل أداة ينفع بها أمته ورأى أن يحمل اليها الفائدة من طريق التعريب لعله يتفوق الغرب علينا في جميع العلوم .

لم يهدف المترجَم له للخمسين من عمره وأخرج للعربية هذا المحصول الجيد من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح وكان مع هذا لا يحرم نفسه من مباهجها ولا قومه من العناية بخصوصياتهم يغشاهم في أفراحهم وأتراحهم ويشاركهم في آمالهم وآلامهم ويتمتع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعيم . ولو كان كل من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعد الهمة ومعرفة الواجب لقومه عليه لكان لنا من مجموع ما تخطه أقلامهم ويصدر من آرائهم وتجاربهم كنز نرجع الى ركازه في تنمية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لايقانه النفع العام في هذه الطريقة فخالف بذلك طريقة صديقه محرر المرأة قاسم أمين فان هذا دوّن تجاربه وتصوراته وجرأ على نشرها للناس . ولو مال الى الاكثار من نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر أفكار غيره لتم الخير للعقول على يده أكثر مما تم ولذلك كان أحد كبار أساتذتنا يقول ان مقدمة « سر تقدم الانكليز السكسونيين » أفيد من الكتاب الأصلي الذي عربه فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » من تعريبه وفيه مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء وترزق العجزة ، وتنفي أسباب البطالة ، وتحفظ الأخلاق ، وتلمّ شعث العائلات ، وتجمع أشتات القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم

ما اعوج من سيرنا وسيرتنا ، وورد هجمات المزاحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الأعمال باهمالنا ، رميناها بسوء الادارة ، واتهمناها بحب الأثرة ، وألقينا عليها تبعة خمولنا كلها .

«ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكلف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام وحفظ الأمن واقامة العدل ، وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاهدة بعضهم بعضاً على ما يضمن حرية التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به الممكنات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر العام مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الأمة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الأمن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف واحياء العلوم ، وفي أداء الواجب والمحافظة على الحقوق» اه .

كان احمد فتحي زغلول يكبر شقيقه سعد زغلول بضع سنين خلد اسم هذا بعمله العظيم لاستقلال مصر وكان رجل ثورة ، وخلد اسم فتحي بتآليفه استفاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة وحرص على النهوض بأمته من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في النفوس .

محمد كرد علي

توهم الحرف الأصلي زائداً

والشواهد على ذلك

الشذوذ في قواعد اللغة العربية معروف . وقد اعتاد النحاة والشراح اذا شذت لفظة عن قاعدتها ، أن يقولوا انها شاذة ، من دون أن يعللوا شذوذها ، أو يذكروا سببه . ففعل أبى يأبى مثلاً جاء من الباب الثالث شذوذاً ، ولا أذكر انهم عللوا سبب شذوذه . ومثله فعل استحوذ من دون اعلال شذوذاً . اللهم الا في ضرب واحد من الشذوذ : وهو أن يكون سببه (التوهم) فقد أكثر علماء اللغة من ذكر هذا السبب في طائفة كبيرة من الألفاظ الشاذة .

والتوهم ضربان : توهم الحرف الزائد أصلياً : كمِنطقة ، قالوا في الفعل منها تَمَنْطَقَ ، والقياس تَنَطَّقَ . وبالعكس : أي توهم الحرف الأصلي زائداً .

وقد تتبَّعتُ الشواهد على الضرب الأول ، فبلغت من الكثرة حداً رأيته كافياً في اعتبار هذا الضرب من التوهم قاعدةً تحتذى ، فيحمل على شواهدها المنقولة عن الفصحاء شواهد أخرى تُشبهها من كلام المولدين ، فنعتبرها صحيحة سائغة الاستعمال ، ولا نخطّئ الكتّاب المعاصرين أو المولدين في استعمالها قال الخفاجي في كتابه (شفاء الغليل) : (لفظ الشُّبّاك وان كان مولَّداً لكنه ليس بخطأ) .

هذا ما أقوله في الضرب الأول [1] من الشذوذ المعلل وهو توهم الحرف الزائد أصلياً . أما الضرب الثاني وهو توهم الأصلي زائداً فقد أشرت اليه في خلال بحثي الأول ، ولم يكن قد علق بكفي من شواهده الا القليل . وها أنا ذا أبسط القول فيه :

(١) راجع ما نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٥ ص ٢٠٥ والمجلد ١٠ ص ١٢٩ والمجلد ١١ ص ٥٣٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(قاعدة توهم زيادة الحرف الأصلي) : موضوع هذه القاعدة على عكس موضوع القاعدة الأولى كما أشرنا آنفاً إذ أن موضوع هذه توهم زيادة وموضوع تلك توهم أصالة .

وأول شواهد هذه القاعدة أي توهم الزيادة منع (أشياء) من الصرف وقد سبق لنا القول أن بعض النحاة جعل السبب في منعها زيادة الألف والهمزة في آخرها وأن أصلها شَيْئَاء وهو جمع شيء ، كما أن قَصْبَاء جمع لقصب . وهناك من جعل همزتها زائدة مانعة من الصرف ، لكنه لم يجعلها جمعاً كقصباء بل جمعاً كأنصباء في جمع نصيب : فأصل (أشياء) عنده أشْيِئَاء حُذفت الهمزة الوسطى فبقيت على وزن أفعال .

وكلا القولين لم يُعجب الكسائي رحمه الله ، فأنَفَ منهما وتجنب المراوغة فيهما قائلاً : لماذا لا نقول الحقيقة وهي أن (أشياء) وزنُه (أفعال) وأنه جمع شيء ، كما أن (أفياء) جمع فيء . ووزن أفعال جمعاً لا يمنع من الصرف فهذه أفياء ليست ممنوعة ، فكان الواجب أن تكون (أشياء) غير ممنوعة أيضاً . ولكن العرب منعوها !! فكيف ذلك ؟

قال شيخنا الكسائي في الجواب : إنما منعوها لكثرة تكررها على أفواه الناس ، ومشابهتها لحمراء ، فأرادوا التخفيف عليهم فمنعوها من الصرف . وليس معنى هذه المشابهة التي قالها الكسائي إلا أن العرب اشتبه عليهم أمر همزة (أشياء) لوقوعها بعد ألف فظنوها زائدة كهمزة (حمراء) مع أنها أصلية كهمزة أفياء ، ومنعوها من الصرف بناءً على هذا الاشتباه بل هذا التوهم .

فمن قوله هذا أَوْ مِن هنا نبدأ في تأسيس قاعدتنا الثانية أعني (قاعدة توهم الزيادة) أي توهّم الحرف الأصلي زائداً ونجعل (منع صرف أشياء) على رأي الكسائي (الشاهدَ الأول) .

أما (الشاهد الثاني) فهو (بُراء) على وزن غُراب في جمع بريء: فإن قوماً منعوه أي منعوا بُراء من الصرف مع أن همزته أصلية لا زائدة. وقد جروا في منعه على خطتهم في جمع أشياء مذ جعلوا أصلها (شيئاء) أو (أشيئاء) وهذه أي (بُراء) جعلوا أصلها (بُرَءاء) جمعاً لبريء، على وزن فُقهاء وكُرَماء جمعَيْن لفقيه وكريم. لكن (برَءاء) لم تبق على حالتها بل تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى تخفيفاً، وجعلوها على وزن غُراب. فقالوا (بُراء) وإنما منعوها من الصرف ملاحظة لأصلها الذي هو (بُرَءاء) فإن ألفه وهمزته تفيدان معنى التأنيث في الجموع فتمنع براء من الصرف كما تمنع فقهاء وكرماء وشرفاء وأصدقاء. وهكذا (بُراء) التي أصلها (بُرَءاء). هذا ما قالوه في تخريج منع الصرف في بُراء عند من قال به، وهو تخريج فيه تعسف، وفرط تكلف، والأولى أن نخرجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) استناداً الى قاعدة (توهم الزيادة) فإننا توهمنا زيادة همزة بُراء مع أنها أصلية. ومستندنا في هذا التوهم رأيُ الكسائي في تخريج منع صرف (أشياء) مذ قال إنها منعت لمشابهتها لحمراء.

(الشاهد الثالث) أملاك في جمع مَلَك، وليس في هذا الشاهد منع صرف، وانما فيه جمع مَلَك على أملاك. ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلَك) أحد ملائكة السماء مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهكذا الملائكة، فإنهم موكَّلون بنقل الرسائل الى الأنبياء. فأصل مَلَك مألك، وجرى فيها قلب فقالوا ملأك. وخففوها ألفاً فقالوا مَلاك، وهو استعماله الشائع على ألسنة المسيحيين، ثم حذفوا الألف من مَلاك فقالوا مَلَك، وهو الاستعمال الشائع عند المسلمين.

وسواء أقلنا إن أصل مَلَك مألك أو ملأك أو مَلاك فإن همزته أصلية لا زائدة. وإذ كانت الجموع تردّ الأشياء الى أصولها فيكون جمع مَلَك

إنما هو ملائك وملائكة ، بالهمزة الأصلية ، لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على (أملاك) ، كأفراس جمعاً لفَرَس ، وقد أشْبَهت (أملاك) التي هي جمع مَلَك السماء (أملاك) التي هي جمعٌ لمِلك (المكسور اللام) أخد ملوك الأرض ، فهما أي أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً مختلفان معنىً وتخريجاً .

واذا قيل كيف جُمع مَلَك السماء على أملاك ؟ قالوا في الجواب إنه شاذ . وأرى أن يقال إن جمعه على أملاك مخرج على (قاعدة توهم الزيادة) أي زيادة الهمزة في مألك وملأك ، مع أنها أصلية كما مر . فكان القياس جمعها على ملائكة ، لأن الجموع تردّ الأشياء الى أصولها كما لا يخفى . غير أن العرب توهموا الهمزة فيها (أي في مألك وملأك) زائدة ، وأن وزن مَلَك المخفف هو فَعَل بالتحريك ، وفَعَل الصحيح يجمع على أفعال ، فقالوا بناء على هذا التوهم أملاك ، كما قالوا ملائكة على الأصل .

(الشاهد الرابع) جمع منارة على منائر بالهمزة . وبيان ذلك أن الف منارة أصلية لا زائدة . لأن الكلمة مشتقة من النار أو النور ، فوزن منارة مفعلة لا فعالة . لكنهم توهموها أي توهموا الألف زائدة ، وقد ظهر أثر هذا التوهم في الجمع فقالوا منائر بالهمزة . والقياس منابر بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء إذا وقعتا في فعائل جمعاً أي بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين كياء فضيلة الزائدة يقال في جمعها فضائل ، وتبقيان على حالتيهما إذا كانتا أصليتين ، كواو مَنَارة ومَغَارة ، فيقال في جمعها مَنَاور ومَغَاور ، لكنهم في (مناور) قالوا منائر بالهمزة أيضاً بناء على توهمهم ألفها زائدة . على أن قولهم في مناور منائر بالهمزة لا يمنع أن يقال فيه مناور بالواو أيضاً كما هو القياس .

(الشاهد الخامس) ما حكاه لنا شيخنا ابو العلاء المعري في كتابه (عَبَث الوليد) نقلاً عن الفراء قال : (إنهم أي العرب يشبهون النون الأصلية

بالنون الزائدة ، قال : وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ، يقولون مررتُ بطحانَ ، يشبهون نونه الأصلية بالنون الزائدة . وذلك إذا سَمّوا به) اهـ كلامه .

فنون الطَحْن أصلية وهي لام الكلمة وصيغة المبالغة من الطحن طحّان ، ووزنه فعّال ، كضرّاب من الضرب ، وشرّاب من الشُرب ، فهو إذاً مصروف ، لكنْ وقوع نونه بعد ألف جعل العرب يشبّهون (على حد تعبير الفراء) نونه بالنون التي تقع بعد ألف في صيغة فعلان كسكران ، فيمنع طحان من الصرف كما منع سكران . والفراء قال (يُشبّه العرب) ولا أرى التعبير بالتشبيه في هذا المقام بمحلّه : لأن العرب لا يخطر ببالهم إيقاع التشبيه بين حروف كلامهم التي تتناثر عفواً من أفواههم . وانما هم لما لفظوا كلمة (طحّان) في (مررتُ بطحانَ) مثلاً توهّموا طحّان كسكران فأجْرَوْها مُجراها . وقول الفراء : وهذا إذا سَمّوا به أي سموا بطحان فتجتمع فيه علّتان ، العلمية المحقّقة وزيادة الألف والنون المتوهّمة — وقول الفراء أيضاً (وهذا عند الكوفيين أسوغ منه عند البصريين) يفهم منه أن اعتبار النون الأصلية زائدة في مثل (طحّان) يسُوغ عند البصريين لكنه عند الكوفيين أسوغ . ومعنى أنه أسوغ أي أكثر تَشَبّثاً في الاستعمال . وهذا يُشعر بقياسيّة مررتُ بطحّانَ وعجّانَ ونحوهما . واذا كان مجمعنا يرى أن من سلامة اللغة توسيع دائرة التخاطب بها فلا بأس من تسويغ ما سوّغه البصريون بلهَ الكوفيين .

(الشاهد السادس) ما حكاه أبو العلاء المعري أيضاً في كتابه (عَبَث الوليد) معلّقاً على قول البحتري من أبيات أولها :

(لقد أمسك الله الخلافة بعدما وَهَتْ وتلافى ميزَبَها أن يُنقَترا)

وقال في تلك الأبيات :

(أتت بركات الأرض من كل وجهة وأصبح غصنُ العيش فينانَ أخضرا)

قال أبو العلاء :

(شَعر فَيْنان وغصن فَيْنان من الفَنَن فوزنه فيعال) أي فتكون نونه أصلية لا زائدة ، فيصرف . ثم قال أبو العلاء (لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان اهـ) واذا كان على وزن فعلان كانت نونه زائدة كنون سكران ، فيُمنع من الصرف .

فقول المعري : (لكن يُترك صرف فينان كأنه على ون فعلان) لا معنى له إلا كون وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً أو معتبراً اعتباراً أو متوهَّماً توهماً ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين الذين نقلنا عباراتهم في بحثنا على القاعده الأولى أعني (توهم أصالة الحرف الزائد)

والفَنَن في اللغة : الغصن المتشعب : فاذا قالوا فرع فَيْنان وشَعر فَيْنان ولمّة فينانة أرادوا أن لها فنونا من الذوائب . قال الشاعر :

(إمّا ترَيْ شَمَطاً في الرأس حلّ به من بعد أسودَ داجي اللون فَيْنانِ)

(فقد أرُوع قلوب الغانيات به حتى يَمِلْنَ بأجيادٍ وأعْيانِ)

وَأعيان هنا جمع عين بمعنى الباصرة .

(الشاهدُ السابع) نوعٌ من التوهم غريب : لا هو من توهّم الأصالة ولا هو من توهّم الزيادة ، وإنما هو من توهّم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخر . مثاله : لغات جمع لغة ، فإنه جمعُ مؤنث يُنصب بالكسرة ، تقول سمعتُ لغاتِ العرب ، لكن حكى الجوهري في صحاحه أن العرب يتوهّمون تاء جمع التأنيث زائدة كالتاء التي يوقف عليها هاءً في نحو قُضاة ورُواة ، فكما يقولون رأيت قضاةَ البلد بفتح تاء قضاةَ يقولون سمعتُ لغاتَ العرَب بفتح تاء التأنيث . لكن الجوهري عبّر عن هذا التوهّم بالتشبيه ، فقال إنهم شبّهوا تاء لغات بتاء قضاة ، وهذه عبارته :

ARCHIVE

لمحة تاريخية

في اللغة البرتقالية وآدابها (١)

هبط هندي من منسك الى المدينة بعد عزلة وزهد طويل ، فوصلها تعباً من وعثاء السفر ، ومما قاساه من عذاب في رحلته . فقد كان قليل الزاد الا بما حواه في دماغه ، طرق الباب وولج العتبة للقاء داعيه ، حاسر الرأس احتراماً ، خاشع الطرف حياء ، أمام مجمع ضم بين جدرانه نخبة علماء بلاده ، وعيون وطنه ، ألقى عليهم السلام وقال : «أنني لي أن أحظى بشرف المثول بين أيديكم وتلبية دعوتكم للانضمام الى حلقتكم النيرة بالعلوم والمعارف . وقد أصبحتم مشكاة هذا المجتمع ودليله في معارج معرفة سفر الحياة ، بما أفضتموه عليه من خبرات تجاربكم وأفكاركم ، وإذ يتعذر علي أن أضارعكم حكمة واختباراً ، فقد عزمت على أن أرى ما ترون وأسمع ما تسمعون وأتعلم ما تعلمون ، واسمحوا لي أن أتقدم خطوة وأزيح النقاب عن وجه كأس المعرفة ، وأضع على مائه وريقات من الزهر ، تعطر المكان ولا تشغل حيزاً .

أيها المحفل الكريم !

لغة جديدة وثقافة جديدة أنقل أول حجر من أحجارها الضخمة في المغرب لأضعه في أس بناية المعرفة في الشرق ، أنقل ثقافة ملايين من البشر بسطت عليهم سياسة الأقوياء ظلالها ردحاً من الزمن ، فأزالت معالم حضارتهم ومحت آثار جهادهم واكتشافاتهم من معاجمها . واللغات تحيا أبداً حياة آلية ، أي

---

(١) المحاضرة الأولى التي ألقاها الأستاذ جورج ليان في مدرج الجامعة السورية الكبير في الساعة السادسة من مساء السابع من كانون الثاني سنة ١٩٥٠

ان بقاءها يتوقف دائماً على قوة ثقافة الشعب وسمو أدبه وبليغ نفوذه . وعامل القوة هذا فعال أبداً في تدعيم اللغة ونموها وانتشارها فاذا ارتقى الانسان بعلمه وسطا عليه الترف فقد القدرة على التقدم والنجاح وهذا ما أصاب الاسبان والبرتقاليين الذين انغمسوا في الترف فانحطوا في سياستهم وتفرق شمل الوحدة التي تمتعوا بها حيناً في القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر . ولما صحوا من صدمة استيلاء الأجانب على ثروتهم العلمية وجدوا قافلة العلوم والفنون والصنائع والثقافة العامة قد سارت وتركتهم وراءها بعيدين ، نشطوا اليوم وفتحوا خزائن خزائنهم الغاصة بنفائس المخطوطات العلمية والأدبية والفلسفية والفنية فاذا بها ودائع عربية نفيسة وآثار كتابية نادرة .

اننا نفتح صفحة جديدة في تاريخ الثقافة العربية ، ونعيد الى الأذهان ذلك العصر العربي الزاهر في شبه جزيرة إيبرية حيث ازدهر العلم والعمران والحضارة في ظلال العرب .

قد يتساءل بعضهم ، وما شأننا واللغة البرتقالية أو الاسبانية ؟ ألا يكفي طغيان الفرنسية والانكليزية الدوليتين على كل لغة في بلادنا ؟ فنجيب :

ان رابطة الفكر من أمتن الروابط وأقواها بين الشعوب ، ولا شك أن محور هذه الروابط هو الصلات الثقافية البريئة من كل طمع ، والبعيدة عن كل مأرب ، والمنزهة عن كل استئثار يغنم به فريق ويغرم آخر . فالبرتقالية والاسبانية لغتان حيتان لا يقصد بنشرهما وتعميم ثقافتها تأييد فكرة أو بث مبدأ من المبادئ ، لكن ما يربطنا بهما وبشعبيهما بحكم الفتح القديم يُوجب علينا أن نرجع قليلاً الى التاريخ فنتعلّم ولو قليلاً من الذين كنا علمناهم ، وتركنا آثارنا وعلومنا بينهم ، علينا أن ننقل الى أدبنا ما لم يزل منه مكنوزاً في ديارهم ، ومن التاريخ ما لا يزال مجهولاً لدينا .

ويجدر بي أن أنوه بما صرح به سعادة سفير البرتقال في البرازيل ، الدون جوان انطونيوبيانكو ، إذ أشار في أحد مواقفه الرسمية الى الروابط المتينة التي استحكمت بين البرتقال والشعوب العربية ، وهي صلات الدم والعرق واللغة قال : « اني اعدُّ البرتقالية كابنة شرعية للعربية » والكل يتمنى أن يكون هذا الكرسي البرتقالي في الجامعة السورية فاتحة عهد ثقافي جديد بين الشعوب المرتبطة بوشائج الدم ، الاسبان والبرتقال والعرب .

ويصرح رجال العلم والأدب في اسبانيا : « ان كل الأمم ، حتى تلك التي لا صلة لها بتاريخ اسبانيا والبرتقال وآدابها وتقاليدهما ، تعنى بدراسة آثار العرب في المعاهد الفنية والمجامع الأدبية ، بينا كان العرب أنفسهم في غفلة عن هذه الأمور الثمينة والآثار العظيمة » .

لم يتصل العرب بعد نزوحهم عن الأندلس بالاسبان لأسباب وعوامل شتى ، فكانت القطيعة منذ عدة قرون بين الشعوب العربية وشبه جزيرة إيبرية ، وكان مرور الزمن عاملاً أول على محو تلك الأسباب التي دعت الى هذه القطيعة . فالعرب اليوم غيرهم بالأمس في المعترك الدولي ، يتبادلون الوفادات الرسمية مع الجميع ويحضرون المؤتمرات الدولية والعلمية والفنية والاقتصادية والسياسية وتتلاقى مصالحهم في كل النواحي العملية بمصالح أمم الأرض . فحاجتنا الأساسية ونحن دول ذات كيان ، ان نأخذ بالأسس التي استندت اليها الدول القديمة في دعم تكوينها على أن لا تقتصر على تعلّم لغات الآخرين ، بل نعمد الى درس تاريخهم وعاداتهم وأخلاقهم وميزاتهم وشؤونهم العامة والخاصة وان تكون دراساتنا لأحوال أمم الغرب مماثلة لدراساتهم العميقة عن الشرق ، تلك الدراسات التي بلغت ذروة عالية من الدقة والتخصص والبراعة ، حتى نجد بين متعلميهم ، العدد الوفير ممن يتقن اللغة العربية ولهجات أقاليمها ومناطقها المتعددة ، وما ذلك لخدمة الأدب بذاته ـ ولا لمجد الله ـ بل خدمة لمصالح دولهم ، فيفدون الينا أفراداً

وجماعات في بعثات رسمية ، وعلى شكل وفود علمية أو تحت ستار النبش عن الآثار والسياحة وجوب الأقطار للتعرف الى ما في الشرق من عجائب وغرائب .

أيها السادة !

اننا مقتنعون كل القناعة بوجاهة فكرتنا ، وعلى أساسها نبدأ دراساتنا وأبحاثنا اللغوية والأدبية والتاريخية التي لنا بها صلة مباشرة مع شبه الجزيرة أو مع الشعوب الأميركية اللاتينية الجديدة . ولكي نتعرف الى شعب وجب علينا درس تاريخ لغته ونشأتها ، ولما كانت اللغة البرتقالية هي محور موضوعنا وجب الاطلاع على تاريخها القديم توصلاً الى فهم أدبها وعلاقته بأدبنا .

« ان أصل اللغة البرتقالية هندي اوروبي تغلبت عليه اللاتينية وهي لغة شعب ساد شعوباً متعددة وامتد سلطانه السياسي والثقافي الى معظم مقاطعات اوربا وافريقيا وآسيا كما بسط اروقته على شبه جزيرة إيبرية فغدت الأمة الرومانية ، أمة تبسط جناحها على امم مختلفة في الجنس واللون ، متباينة في المدنية والعمران .

فاللاتينية هذه ـ وهي احدى اللهجات الايطالية كأختيها الأوسكو والأمبريكو ـ كانت لغة الجمهورية اولاً والامبراطورية بعدئذ ، وقد امتازت اللاتينية بصفتين متباينتين : العامية والفصحى ، فالأولى منها كانت لغة الشعب والثانية لغة الآداب والديوان وتوسطت مع الزمن بين هاتين الصفتين لغة العائلات المختارة ولغة الخطباء والوعاظ اليوميين ، الذين كانوا يبيحون في خطبهم ومواعظهم وأحاديثهم الخاصة من الكلمات والعبارات ما لا تجيزه لغة الآداب ، فنجمت عن ذلك فوارق بيّنة في المصطلحات لم تؤدّ الى انحطاط اللغة بسبب استعمال كلمات وعبارات حوشية ، بل لبست مع الزمن حلل الجدة والإبداع وتهذبت لهجتها تدريجاً وارتقت رقياً محسوساً بما أفاض عليها خيال الشعراء والأدباء في احقاب متتالية من وحي نعيّ حتى اصبحت لغة مقبولة وسهلة ممتنعة تغلغلت في روح الأمة

وصارت تعبّر عن صور حياتها وروحيتها وتفكيرها ومدنيتها . وأثّرت الحياة الرومانية ببعض مظاهرها وأشكالها ، في لغة الاقليم ولهجاته وعاداته وارادانه ومدنيته حتى صار كل ما في الجزيرة روماني الصبغة . ولم تكن خطة روما القديمة في تطبيق سياستها الاستعمارية للسيطرة على الشعوب سوى الخطة التي يسير عليها دعاة الاستعمار في العصر الحاضر .

لم تتم رومانية شبه الجزيرة على أيسر سبيل ، ودامت سيادة اللاتينية وقوتها على هذا النحو من التأثير في الأصقاع الايبرية من اوائل القرن الثالث قبل الميلاد حتى اواخر القرن الأول بعده ، أي منذ اجتاحت جيوش الفاتح كينيوسبيبيون وجنود اخيه بوبليو شبه الجزيرة ، حتى قيام محرري البرتقال ڤيرياتو ومرتوريو ، اللذين شقا عصا الطاعة وأعلنا العصيان العام ، ومقاومة كل ما هو روماني ، وامتدت ثورتها الى اسبانيا على حين كانت روما ترسل الحملات لإخماد الفتن والثورات المتعاقبة التي لم يخمد اوارها حتى زحفت جنود البربر على شبه الجزيرة في القرن الخامس للميلاد وطردت آخر جندي روماني فيها .

ومما لا شك فيه ان معظم البرتقاليين حالياً هو من اصل لاتيني ، والشعب البرتقالي يقول انه احد ورثة مخلفات الرومان ، على اعتبار ان اللغة اللاتينية والثقافة الرومانية احتلتا المكانة الأولى في طول البلاد وعرضها فسيطرتا على المعارف العالية والآراء والمبادئ والمصانع وأثرتا في ترتيب الآداب الاجتماعية والعادات البيتية وفي العقائد الدينية والمذهبية وأشكال ادارات الأحكام والقوانين وغيرها . ولكن هذا التأثير كله قد تأثر هو أيضاً بما طرأ عليه من مصطلحات شعوب شبه الجزيرة وعاداتهم وتقاليدهم وما ألفوه في حياتهم الخاصة والعامة ، وهكذا بدأت اللغة البرتغالية تتميّز لفظاً واجتماعاً رويداً رويداً وتتخذ شكلاً خاصاً ومنحى صريحاً يفرق بينها وبين لهجات ولغات اسبانية المتعددة وازدادت هذه الفوارق بعدئذ حتى الفتح العربي في القرن الثامن للميلاد بدخول تعابير

وتراكيب مغايرة لخصائص اللغة الأصلية كاستعمال المجاز والاستعارة ، فصار للبرتقاليين مرونة اللغات الحية وسهولة الاشتقاق وقوة الابتكار والإبداع ، الا ان البرتقاليين تركوا قليلاً من المصطلحات بألفاظها الأصلية في الاسبانية والفينيقية واليونانية والاوسكاراس واللاتية والجرمانية والعربية ، ولغات الشعوب الأخرى التي اجتاحت شبه الجزيرة ، وكانت مماثلة لها روحياً وسياسياً كالقشتالية والفرنسية والايطالية والانكليزية . ولم يستطع البرتقاليون تحاشي اقتباس كلمات افريقية وآسيوية وهندية اميركية بحكم ولعهم بالفتح وبالنظر لامتداد سلطانهم الى ماوراء البحار . كما تسربت منهم كلمات وعبارات كثيرة الى اللغة اليابانية حينما اكتشفت طلائع البرتقاليين جزر اليابان حوالي ١٥٤٢ .

ونخرج من هذا التحديد الى ان اختلاط الفاتحين بالسكان الأصليين في شبه الجزيرة كان في المناطق الشرقية والجنوبية أشد منه في ناحية الاطلنطي وهذا ماسبب تباين اللهجات وانفصام الوحدة اللغوية وانقسامها الى اسبانية وبرتقالية ولا شك ان للاعتبارات السياسية اسهاماً متيناً في تكوين القومية في أواخر القرن الحادي عشر فانطبعت بطابع أدبي خاص ميزها عن بقية اللغات في شبه الجزيرة الاسبانية .

تشتق كلمة برتقال من پرتوس كاله أو پورتو كاله نسبة الى مدينة پورتو أحد مرافئ تلك البلاد . واول من استعمل هذه الكلمة الكاتب هيداسيو في القرن الخامس فكانت الرسائل والوثائق وقتئذ تكتب باللغة الحوشية حتى اواخر القرن السادس عشر ، وتطورت هذه اللغة تدريجاً وحلت بجدتها محل اللاتينية القديمة في الشعر والخطابة والأدب ، ثم ضبطت قواعدها وتصاديقها وأفعالها وماشت اللغة الاسبانية جنباً الى جنب . ويمكن اعتبار دور الانتقال من جاهلية البرتقال الى مدنيتها من ظهور ملحمة كامويس الخالدة بين الملاحم السبع المشهورة في العالم . وبقيت اللهجات في الأقاليم كما هي وتعددت بعد

فتوحات البرتقاليين واتصالهم في ما وراء البحار بشعوب آسيا واميركا وبلغت الآداب والثقافة البرتقالية أوجها في ذلك العصر ، مرافقة عظمة الأمة وقوتها وسلطانها الواسع حتى استقلال البرازيل وانفصالها عن البرتقال حيث نشأ في العالم البرازيلي أدب جديد تمثل بروح جديدة وعقلية جديدة مع طابع استقلالي بلغ ذروته في العصر الملكي وأوائل العهد الجمهوري مسايراً الأدب الغربي بنزواته ونزعاته وسموه وغاياته حتى اواسط القرن الثامن عشر ، ثم أخذ بالانحطاط والتبذل حتى وقتنا الحاضر بسبب ما طرأ عليه من عوامل شتى كما طرأ على بقية آداب العالم .

ولقد تحرر الأدب البرازيلي من القيود القديمة فلا يحتفظ منها الآن الا بالقدر الصغير الذي يخدم أهداف الأدب وبذلك مضى مستقلاً مصعّداً في مرتفعاته ما شاء التصعيد لا يحسب لأحد حساباً ولا ينظر خلفه ليرى من تبعه ومن لم يتبعه . وهذا الاتجاه في الأدب البرازيلي المعاصر ظهرت طلائعه في حملة أقلام جريئين خالفوا اتجاهات أدباء النهضة الأقدمين الذين ما جرؤ احد منهم على حمل القلم قبل أن ترسخ قدمه بأعماق الثقافة المعروفة في عصره . فقد كان الأديب وقتئذٍ يدرك أنه ينشئ أدباً هو ذلك الشيء الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالجزء الممتاز في كيان الانسان . واما ادباء البرازيل وبعض ادباء البرتقال المعاصرين فانهم اندفعوا الى اختصار الطريق والهرب من الجهد اللغوي ، واتخذوا قوة البيان مركباً هيناً لا يكلف أكثر من صف العبارات وتنميقها كيفما اتفق ليطلق على هذا العمل الزهيد بعدئذٍ اسم الأدب المبتكر والعمل الأصيل ...

وما دامت هنالك جماهير ينتشر بينها التعليم عاماً بعد عام وتنجذب بطبيعتها الى اللون اليسير الخفيف الشائق وما دام هناك ناشرون يريدون الربح ويدون الناس بما يشتهون ، فلا بد ان يكتب الذيوع لهذا النوع من الأدب .

وقد كتب الشاعر البرازيلي الكبير اولاثو بيلاك في احد أبحاثه عن اللغة البرتقالية في البرازيل ما نعده حجة في تعريف هذه اللغة في تلك البلاد ، اذ أشار

في موضوعه «الى ان القسم الأعظم من كلمات اللغة الوطنية ليس من ابتكار الانسان بل وليد الأرض، فبين الألوف والألوف من الكلمات التي نتكلمها ونكتبها في البرازيل ما لا معنى له في البرتقال، منها قسم في أسماء النباتات والحيوانات وما يعلو الأرض من مظاهر طبيعية وزراعية وقسم في الملاحة والصناعة. فمن تلك الكلمات البرازيلية الأصيلة ما هو من أصل هندي وافريقي ومنها ما هو من ابداع الشعب وابتكاره استوحاها من مشاهدة التقلبات الطبيعية كالنور وألوان السماء، ومن فيضان الأنهر واعصارات الاوقيانوس وصخب الرياح وحفيف الأوراق، وزقزقة العصافير من كل الأجناس والأنواع وجميع أصوات المخلوقات الحية التي نعيش هناك بينها ونسمعها».

فهذه العوامل قد زادت في ثروة اللغة البرتقالية وضاعفتها، والأمم النشيطة هي التي لا تقف جهودها عند حدود لغتها بل تماشي قافلة العلوم المتقدمة في معارج الترقي والتطور. وهكذا ندرك أن الأدب لا ينبت وحده في صحراء قاحلة ولا في جزيرة من الجزر النائية، وانما ينبت وسط المجتمع ويستمد جذوره من حياته. فما يهز المجتمع من قوى أدبية واجتماعية وغيرها لا يلبث أن يجد صداه في صدر الأدب وأثره في توجيه نزعاته وصياغة اشكاله، كما ان الأدب يصبح بدوره احدى القوى الفعالة في بناء النظم الاجتماعية وتغذية الحركات الفكرية.

واننا قضاء لفريضة الأدب نعرف العرب الى الروح البرتقالية في شاعرين هما كاسترو آلفس وكازميرو دي ابريو. وكل ما في الأدبين البرتقالي والبرازيلي بوجه عام هو حنين وشوق الى البلاد الأم ومن فيها، أنغام غرام وألحان هيام ونشائد اخلاص، حب وخوف، وأمل ويأس، وتشبيب ورثاء، فمن ذلك:

أيا شوقي الى فجر حياتي
الى طفولتي التي لن يأتي الزمان بمثلها
وآها لحبي واحلامي وازهاري

في الغدو والآصال
تحت ظل الموز وبين البرتقال

* * *

في تلك الأيام الجميلة
كنت انتشق انفاس الطهارة
كأنها نفحات الأزهار الطيبة
والبحر امامي بحيرة هادئة صافية
والسماء فوقي رداء ازرق لامع
والعالم دوني احلام ذهبية شهية !
والحياة انشودة الحب الشجية

* * *

فياحبذا تلك الحياة الجميلة الهادئة
وحبذا تلك الليالي المطربة التي قضيتها على نغمات الحب النقي
والسماء مزينة بالأنجم الزهر
والرياض مدبجة بأنواع الزهر
والأرض ملآنة بنوافح العطر
والأمواج تلثم الرمال
والقمر يقبل البحر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه من أطايب كازميرو الشهير في ذكريات شبابه .

ولنسمع هينمة الشاعر كاسترو آلفس الراسخ العقيدة :

أذكر ! وأذكر حينما كنت العب على الشاطئ والبحر يزبد وامواجه ترتفع وتعلو كالجبال حاملة معها الزبد الأبيض فيناطح الجو !

قلت لأمي في تلك اللحظة : أية موسيقى قاسية هي هذه الأعاصير المخيفة ؟ هل يوجد ما هو اعظم من الاوقيانوس او ما هو اقوى من الرياح ؟

تبسمت أمي ونظرت الى السماء واجابت : كائن نخافه يا بني ولا نراه ، هو اعظم من البحر واقوى من الاعصار — هو الله

ولنسمع ايضاً كاسترو آلفس يصف شعور عبقري فيجيد :

لو جاب الأرض مراراً لنأى عنه الناس ولو عاش عمراً

فغير معدم واحشاؤه خاوية بقرب الأرض الغنية والنهر الجاري

ليس له مأوى يأوي اليه في ارض الله الواسعة

لا يجد عطفاً من احد حتى ولا في الغابات

واذا نشد صديقاً لا يجده ، وان وقف خطيباً لم يظفر بسوى التصفيق

يسير جاهداً في ارض وعرة يرتقي بمواقفه من نصر الى نصر ، مجده ، قوته وزاده

فاذا قيل هذا عبقري خالد لا يموت ، اجاب هو : هل عشت يوماً لأخشى ان أموت ولا أخلد ؟

فمن هذه المنظومات ندرك ان ادب اللغة البرتقالية كبقية آداب العالم ، قسم يتصنّع ادباؤه في النظم فيأتون بالتافه ، وقسم ينقل الحقيقة المجردة فتأتي اشعاره طبيعية مؤثرة في القلوب ، ومثل هذا القسم الثاني منظومات الأقلية من شعراء البرتقال والبرازيل .

أيها السادة !

هذه لمحات خاطفة من الأدب الذي نحن بصدده واليكم قطعة للشاعر الاسباني ڤيلاسبيسّا — الذي يتفاخر بنسبه العربي — في البكاء على غرناطة الأندلسية وقد نظمها المرحوم فوزي المعلوف شعراً :

غرناطة اواه غرناطة ! لم يبقَ شيء لك من صولتك

هل نهرك الجاري سوى ادمع تجري على ما دال من دولتك

والنسمة الغادية الرائحه هل هي إلا زفرة نائحه ؟

ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه

للقبة الحمراء في تاجها وهج وللمأذنة اللامعه

آه عن مجادك الضائعه شيّعتُها بالنظرة الدامعه

* * *

لله حمرتُك تحسو الأسى وحيدة في الروضة الخاليه
لم يبق لازهوةُ ندمانها ولا صدى أعيادها الماضيه
ولم يعد للحب فيها أنين ينقله العود عن العاشقين
بينا يجيل البدر ألحاظه باهتة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو البلبل الساجع
وقصرها الخاوي بأرجائه كم غمر الليل بضوضائه
اذ الجواوي خاطرات على سجاده جاريةً جاريه
أروع ما في الشرق من رقصةٍ تنسجه أقدامها العازيه

* * *

غرناطة أوّاه غرناطة ما أنت الا خرب قابعه
تحمل أسراب السنونو الى افريقيا أنباءك الفاجعه
هناك أبناؤك من بأسهم بأكون لا بأكون من بأسهم
عروا من الاغماد بيض الظبى ووشحوا الخيل ببيض السروج
ويمّموا البحر فلا بدت منك على الأفق جبال الثلوج
خروا على أوجههم راكعين وزفروا من قهرهم صارخين
غرناطة أوّاه غرناطة ! ضعت فيا للمظم الضائعه !
فيزفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

وختاماً لابد لي من توجيه التحية العاطرة مع كلمة شكر لحضرة السيد يوسف اليازجي صاحب فكرة إنشاء الكرمي البرتقالي في الجامعة السورية ، وقد عرفته شخصياً أثناء زيارته لهذه المدينة الخالدة وتبرعه ببناء جناح خاص في هذه الجامعة العامرة ، فنرجو ان يقيض الله لهذه الأمة كثيرين من أمثاله حتى نصل الى الدرجة التي وصل اليها الغرب في كل نواحي الحياة العلمية والاجتماعية .

جورج ليان

سوانح

عهدت أديباً تمت له أدوات الفضل وما كان ينقصه الا أن يشرع بالعمل ، وبقيت دهراً أتوقع أن يخرج من قلمه ولسانه ما ينتفع به قومه . وكثيراً ما كنت أتلطف بدعوته الى واجبه فثبت لي بطويل الأيام أن الرجل صاحب دعوى لا يهمه نشر العلم بقدر ما تهمه المظاهر والمادة . وكان مما يؤلمه أن يرى بعضهم يرقون في الوظائف ، ومنهم تلاميذه أو من عرفهم صغاراً ، وهو ثابت في مكانه لا يتزحزح منه . وادعى في أخريات أيامه انه سيكتب كتاباً لم يسبق للعالم أن ألف لهم ما يحاكيه ، عجز القدماء والمحدثون عن الاتيان بمثله ، وسماه اسماً مغرباً . وظل على هذه الأوهام حتى وافاه الحمام ، وما أخرج فصلاً من فصول كتابه الذي لم يخط سطراً منه فيما أحسب .

بلغ الاعجاب بالنفس في بعض المعاصرين المغرورين أن ذهبوا من الأرض وما أفادوا أنفسهم ولا أفادوا غيرهم ، وما كانت دعاويهم الا خيالات وأوهاماً ، يتبجحون بها أمام أصدقائهم وأعدائهم . ولو كانوا على شيء من حب العمل لأخرجوا من بضاعتهم ما يبيضون به وجوههم . ويدفعون عنهم ما يُرمون به من القصور . ولو ان كل مؤلف وكل باحث وكل مخترع توقف عن نشر ما ألفه وبحثه واخترعه أو يبلغ غاية الكمال الذي يتصوره لمضت العصور وما ظهر في العالم ما يفيد الانسانية . المتنطعون لا يأتون عملاً كاملاً ولا ناقصاً . ويقال لمن يموهون بأنهم يتطلبون الكمال بتربثهم عن نشر شيء من أدبهم وبحثهم : لكل حسن في هذه الحياة أحسن منه ، والتسويف ليس من الحزم في شيء .

اذا كثر عدد من يتجهم للئام ويحتقرهم بنقرضون مع الزمن ، ومن عود نفسه الاعراض عن الماحكين ينفع نفسه وينفع غيره .

لاتعبأ بقول من يحبب اليك التغاضي عن انكار العيوب ، فالاصلاح لا يرجى الا اذا قام كل من يعقل بما يقدر عليه من تقويم المعوجات .

قالوا ان الغرب اخترع آلة اذا سلطت على رأس الانسان كشف بهـا ما يجول في خاطره من الأفكار . اذا صح هذا الاختراع يبطل الكذب والتعدي فتغدو هذه الآلة المباركة من أنفع ما أوجد الانسان لخدمة الانسانية

يمل الحياة وتمله كل من لا يحسب حساب وقته ، ولا معنى للعمر مع الفراغ ، والخير كل الخير في المواظبة على العمل وان قل ، وقديماً قالوا : «غبار العمل خير من زعفران العطلة » .

قتل فلاح من قرية جوبر في الغوطة قتيلاً وجاء الى الجامع الأموي يختبئ في غرفة أحد مدرسيه ، واتفق أن دخل قاضي دمشق الأستاذ سعيد الأسطواني غرفة المدرس فتقدم هذا الى القاضي يرجوه أن يخفف الحكم عليه . فسكت القاضي ، وبعد دقائق نادى خادمه وأمره اليه أن يذهب الى صاحب الشرطة ليرسل اليه بضعة شرطيين فأتوا وقبضوا على القاتل ، واقترب القاضي من الشفيع وقال له : كيف تريدني على أن أعطل حداً من حدود الله ، بتخفيف الحكم في هذه الجناية ؟ فأبلس الشافع ثم قال : الحق معك يا مولاي ، وأعاهدك على ألا أعود الى مثلها ، وكان القاضي بحرصه على قتل القاتل عظيماً جداً ، والمدرس باعترافه بغلطه في شفاعته متعقلاً ، وفي التعليق على ما وقع أقول : ان هذه الأمة ما خاخت حتى في عصور انحطاطها من قوالين بالحق ومن متفانين بتطبيق مفاصل الشرع على القوي والضعيف سواء .

نظرت أعداداً من المجلات العربية التي تصدر في بعض أنحاء العالم الاسلامي في أيامنا كمجلة «الحج» في مكة المكرمة ومجلة «البصائر» في الجزائر ومجلة «لسان الدين» في تطوان ومجلة «الثقافة الهندية» في نيودلهي — فوقفت فيها على أبحاث متقنة بانشائها وموضوعاتها، تنبئ بسعة علم كاتبيها. فقوي أملي بأن تغدو اللغة العربية من أوسع اللغات انتشاراً بعد جيل أو جيلين على الأكثر، وبخاصة اذا تضافرت جهود مسلمي الباكستان والهندستان مع جهود الدول العربية، دع سائر مسلمي الأرض كأهل أندنوسيا والصين وتركستان والقوقاز والقرم والأفغان وايران وتركيا. واذا غدت اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية أصابت العربية أعظم حظ بين اللغات ما كان لها مثله أيام عز الدولة الاسلامية.

كان أحد شيوخ الأزهر الجامدين يجاهر شيخنا الأستاذ الامام محمد عبده بالعداوة في حياته ويكتب في تكفيره وتبديعه ويورد في دروسه أشياء من هذا القبيل. روى لي أحد الأصحاب انه اطلع لهذا العالم المتعصب على مقالة كتبها في آخر أيامه اعترف فيها باساءته للامام وشهد بحسن اسلامه وسعة علمه. الرجوع عن الخطأ من أجمل الفضائل، وكان هذا الاعتراف أجمل وقعاً لو جرى في حياة من يحاول منافسته، والظاهر أنه كانت تحول دون ذلك أسباب منها المنافسة والحسد وحب الاستئثار بالحظوة من الملوك، وحسن القبول من العامة. وبئس التحاسد تحاسد العلماء وبئس التباغض تباغضهم.

لو أقبلت الأمة على كل أمر فيه خير لها اقبال أبناء مصر والشام والعراق لعهدنا على التعلم لتولي الوظائف في حكوماتها لكنا من أرقى الأمم، ولا يتأتى من تكثير سواد الموظفين الا انتشار روح الاتكال في سكان هذه الأقطار، وفي ذلك من الخوف على مستقبل أبنائها ما لا ينكره ذو بصيرة. ومهما سررنا بهذا الاقبال على المدارس لا نراه الا مؤدياً الى ضعف الاستقلال الشخصي.

ذلك لأنا شهدنا ممن تعلم الميكانيكيات مثلاً يرغب أكثر ما يرغب في التوظف، ومن يدرس الطب لا أرب له في غير التوظف، ومن يتعلم الزراعة أو الكيمياء لا يختار غير التوظف . وقلّ جداً في الدارسين من يفكر في سلوك طرق المهن الحرة، وان اعتقد كل واحد ان مهنته تعود عليه بربح أوفر وعيش أهنأ اذا عاناها حراً . وتراه أبداً يفضل العيش المضمون ولو كان قليلاً ضئيلاً .

بدأت عقلية اختيار المتعلمين لسلك التوظيف منذ وضع الحجر الأول في أساس أول مدرسة أنشئت في مصر في القرن الماضي، وقويت هذه الفكرة مع الزمن وربما كان منها فيما يستقبل من الأيام ما تدخل معه الحياة الاجتماعية في اضطراب لا نقدر الآن مداه .

حبذا لو بحثت وزارات المعارف في الدول العربية في وصف دواء لهذا الداء داء اقبال المتعلمين على الوظائف بما لا تتسع للقيام به خزائن هذه الدول، ويضر بمستقبل أبنائها الضرر العظيم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسدى الغنيان الأميركيان كارنيجي وروكفلر من ضروب الخير لخدمة الانسانية والعلم ما لم يفكر في شيء منه هنديان مسلمان أكثر منهما ثروة حتى ليعدهما الناس أغنى أغنياء العالم . صرف الأميركيان ثروتهما الضخمة على الملاجئ والمستشفيات وبيوت العلم وخزائن الكتب والمخابر ولم يصرف المثريان الهنديان شيئاً يذكر في هذه السبيل . خلد اسم الأميركيين العظيمين بما جادت به نفسهما الكريمة ويذهب الهنديان من الدنيا بصفقة المغبون كأنهما ما ملكا ولا عاشا . جمع الأميركيان العظيمان من الصناعة والتجارة ما جمعا بكدهما ونبوغهما ثروة عظيمة، أحسنا انفاقها كل الاحسان، وجمع الهنديان أموالها من الصدقات والزكوات، وشتان بين مال طاهر شريف ومال تعافه النفس، لأنه مجموع من الدناءة والدجل .

الأغنياء عندنا يجودون على التافهات من مظاهرهم ولا تحدثهم أنفسهم أن يبنوا

ملجأ او مستشفى او مدرسة تكون صدقة دارة عليهم ، وآية شرف حقيقي لبيوتهم . كان المسلمون أيام كانوا عاملين بتعاليم دينهم على قدم الغربيين في التفكير في الخير العام والصدقة الجارية .

عشت الربع الأول من عمري في مدينة لا أسمع فيها ليل نهار الا أذان المؤذنين وأصوات المهللين والمكبرين . حتى اذا مد أول خط حديدي بين بلدتي وميناءها أصبحت أسمع صفير بخار القاطرات في الغدو والآصال . ثم جاء الترام الكهربائي بهزاته ورجفاته ثم اخترعت سيارات النقل والشحن والاوتوبوسات والاوتوكارات والموتوسيكلات والتراكتورات والموتورات وغيرها من المحركات ، وبكشف البخار والكهرباء وما نتج منها من بديع المخترعات تطورت مرافق البشر وكانت أتت عليهم قرون كثيرة وهم يكتفون في استصباحهم بالشموع ومسرج الزيت فأصبحوا لا ترضيهم المصابيح التي توقد بالنفط ولما أتى الكهرباء استمتع به الغني والفقير في المدن والقرى . كان الناس لا يعرفون للتدفئة غير الحطب والفحم ويتحملون ما فيها من الاضرار بصحتهم ، وكربون الحطب وكربون الفحم قتال . فجاءت اوربا بهذه المدافئ السهلة تحمى بالحطب ثم بالفحم الحجري ثم بالكهرباء ثم بالمازوت وكان الدفء المنبعث منها أكثر قوة وأشد بعداً من الضرر .

قلت لصديقي الأبر مصطفى بك حنفي من كبار رجال القضاء في مصر : لماذا لم توجه اليك رتبة الباشا مع ان آخر مناصبك كان وكالة وزارة العدل ، ومكانتها عظيمة في عرف الدولة ، على حين شهدنا غيرك ممن أعتقد أن ليس لهم اقتدارك ولا استقامتك قد وصلوا الى رتبة الباشوية ، ولو كان وراءها رتبة أعلى لطالوها بكل حيلة . فأجابني رحمه الله جواباً لا يصدر الا عن عالم متواضع أشبع روحه بحب العدل والحق . كان صاحبي من النوادر في أبناء مصر الذين زهدوا في الألقاب والرتب لكثرة ما ابتذلت .

لم يرض بنو العباس أن يكون خليفتهم الأول ابن أمة . ولما ضعفت مشخصات الأمة على عهد ملوك الطوائف رضي العرب أن تحكمهم دولة جلُّ أبنائها من المماليك الذين مرّت يد النخاس على رؤوسهم .

مما قلل عدد المختلفين الى الجوامع انحطاط الفئة التي تقوم بممارسة الشعائر في الأوقات الخمسة وأيام الجمع والأعياد ، فلا يكاد المصلي يسمع خطيباً ولا اماماً ولا مؤذناً يحسن استهواء القلوب . هذا في المدن اما في القرى فان نفسك تأنف مما تسمع ، وتود لو تخرج من المسجد قبل أداء الصلاة .

من عاداتنا ما يجب الاحتفاظ به لأنه جميل ومعقول ومنها ما ينبغي لنا ان نقلع عنه لمنافاته روح الزمن ، وقانون المنطق الصحيح . والعقل هو الذي نحتكم اليه في مثل هذا الاصلاح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا زكاك أحد في وجهك الزم الصمت فالصمت بك أشبه ، واذا استطعت أن تتصامم حتى لا تسمع ما يقول تحسن لنفسك . فقد يقول المزكّي فيك ما يقوله لمن هو أقل منك شأناً ، لأنه ما حفظ من معجم الأماديح الا ما يقوله لكل من يراه .

ما انحلت الدولة الاسلامية الا بانحلال أخلاق علمائها وملوكها أي بفساد السلطتين الروحية والزمنية كما يطلق عليها الافرنج .

تتمتع الدولة بعظمتها ما دام أسطولها يشق عباب البحار ، فاذا ضعفت بحريتها يضعف سلطانها ، هكذا كان شأن البرتغال واسبانيا وهولاندة وتركيا منذ تخلفت عن خوض البحر .

يضحكني ما أسمعه في البيئات المتفرنجة في بعض أصقاع الشام من الألفاظ المستحدثة الثقيلة على السمع والطبع ، يطلقونها على الرجال والنساء سواء . ومنها ما تعذّر عليّ النطق به مع اني كررته غير مرة . أولع بعض المسيحيين في الشام بالأسماء الفرنجية على ثقلها ويسمي الأقباط في مصر أولادهم بأسماء عربية اسلامية .

تكاد تكون كلمة العارفين متفقة على أن ديار الاسلام على تباعد أقطارها وأمصارها تتشابه في خرافاتها وأساطيرها ، ولعل معظم ما تعتقده من المعتقدات الباطلة انتقل اليها من الأمم السالفة أو من عوامل خلقها الزمن . التخريف يسطو على النصارى والمسلمين كما يسطو على البوذيين والبراهمة . ولا تكاد تجد انساناً مهما ارتقت مداركه يتجرد من خرافات يقف معها رؤساء الأديان وعلماء التربية موقف العجز ، لا يهتدون سبيلاً الى تبديلها او اصلاحها او القضاء عليها . ومن أرباب المذاهب من يتبرأ مما دوّنه أهل مذهبه وشاع عنهم بالتواتر وأيده العيان . وأصحاب كل مذهب عارفون في ترهاتهم مغتبطون بها ويتهمون أصحاب المذاهب الأخرى بالتخريف ويكذبون جهاراً على مخالفيهم الا من عصم الله .

يلتقط المرء من السياحة جزءاً عظيماً من ثقافته ، المدرسة يأخذ منها النظريات وتحصل له العمليات بالاختلاط والتغرب . اذا قوي حب السياحة في العرب ، وتوالى رحيل المتنورين منهم الى أرض أرقى بحضارتها من أرضهم ، يعودون الى أهلهم بما ترقى به معايشهم ومظاهر حياتهم .

يوم اشتدت حاجة دول العرب الى اخصائيين في العلوم والفنون أقبل الأذكياء من بنيها على تلقفها ، فكان لهم في حكوماتهم أسمى المناصب وأوفر الرواتب ، وبهم بدا على بعض الأقطار طابع العصر وما جدّ فيه من ابداع .

يبالغ بعضهم اذا لقيتهم في تحيتك ويكثر من ذكر أشواقه ، واذا غبت عنه قد يعيبك ويغتابك فالاولى بك اذا اجتمعت الى من هذه أخلاقه أن تقطع عليه حديثه وتشغله بحديث غير حديث نفاقه .

بهر الغربيون الشرقيين بما ابتدعوه من حضارة ، فظن الشرقي ان فطرة الغربي هي التي أبدع بها ما أبدع ، وأن الشرقي يتعذر عليه أن يقلده ، فلما اختلط أهل المشرق بأهل المغرب ، ووقف الشرقي على أسباب فلاح الغربي ، تبين له أنه يشبهه من أكثر الوجوه ولا يتفوق الغربي الا بانتظامه ودؤوبه .

من الأردياء من يتعمدون اغضابك ليخرجوك عن اتزانك ، وليتخذوا من احراجك ذريعة الى ايذائك ، اذا وقع نظرك عليهم بادر الى الهرب منهم ، فالهرب ثلثا الشجاعة كما يقول العوام .

نجح من عالجوا في تآليفهم ما جودوه من دراسات جديدة في العلوم المعادية والمعاشية ، فحملوا الى من تناولوها معلومات سدوا بها نقصاً في معارفهم . ومن لا يُعنى كل العناية بتأليف ما يؤلف يعد محتقراً لمن يكتب لهم من أهل جيله وأهل الأجيال القادمة ، والكتاب الضعيف التأليف ، على أي حال ، محكوم عليه بالفناء بعد أيام تمضي على صدوره من المطبعة .

كنت أعتقد بعد مرور سنين على تأسيس معاهد التخصص — وشهادتها يحرزها الطالب بعد شهادة العالمية من الأزهر — ان خريجي هذه المعاهد سينزعون عنهم ثوب الخمول وينصرفون الى ما ينفع بتفكير جديد وعزم وطيد ، واذا بالكسل القديم هو الكسل ، واذا بالتواكل الذميم هو التواكل ، واذا المسألة مسألة طبائع وأخلاق وعلم وعمل .

لم أعلم أية دولة من الدول الحديثة خرجت على قانون الانسانية فعدت المسالمين كالمحاربين ، واستجازت قتل الآمنين والمستأمنين ، وهم بمعزل عن ساحات الوغى . كانوا في الحروب الغابرة يقتل الرجال الرجال ، فابتدعت الدول في الحروب الحديثة بدعة قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال .

فطر الانسان على الشر ، والصالحون من جنسه شذوذ . علم الأنبياء والحكماء الناس مارفعوهم به عن البهيمية ، بيد أن تأثيرهم فيهم كان ضئيلاً لم يواز ما تحملوه من العناء في هدايتهم .

سررت برجل في الكهولة يعد نفسه لنيل الشهادة الابتدائية . في الغرب قد يبدأ المرء في الستين أو السبعين من عمره يتعلم علماً ما قدر له تعلمه في صباه . ومنهم من يدرس لغة شرقية ، ولا يستغرب ذلك لأنهم كلهم يؤمنون بأن المرء يتعلم ما دام يعلو نفَسُه وينزل .

أحط المجتمعات البشرية مجتمع لا تسمع فيه غير الاستسلام والرضا ، لانُقّاد ينقدون ما اختل من أوضاعه ، ولا دعاة أمناء ينكرون ما اعتل من أحواله ، كلهم موافقون ليس فيهم مخالفون .

من أخلاق هذا العصر ألا يساغ المدح والقدح الا عن غرض ، فقد يبالغ رجل في وصف رجل لأنه قصده في حل مسألة فحلها له على ما يشتهي ، ويقدح في آخر لأنه لم ينزل على رغبته فينعته بالجهل والأثرة وقلة الخبر . ولو قدر للمطعون فيه ان يراجَع النظر بطلب من لم يعمل له ما يريد باديء بدء لعاد يكيل له المديح بالمكيال الواسع ولأقام له الأعذار على موقفه منه بالأمس . لذلك أوصيك أن تحذف معظم ماتسمع من المدح والقدح حتى تصل الى بعض الحقيقة فلطالما غش المادحون والقادحون من يسارعون الى تصديقهم ويثقون بما يقولون .

اذا امتنعت من الاجتماع الى من اعتاد أن ينم لك وينم عليك تقلل من منغصاتك ، واذا تجنبت لقاء من فطروا على الضرر تعاون على الكبح من جماحهم .

لا تعرف مواطن الضعف من انسان حتى تعاشره ، ولا تتجلى لك عيوب البيت حتى تسكنه ، ولا نقص القانون حتى يوضع موضع التنفيذ .

في صحبة الأشرار مضرتان عظيمتان اما ان تعاشرهم على مضض فتكون حالك معهم حال من يساكن الثعبان لا يأمن يوماً عضته ؛ واما ان تتكلف في حديثك معهم لترضيهم فتتعلم بهم التفاق .

لما ظهر محمد علي الكبير في مصر كان وادي النيل وعامة البلاد العربية قد بلغت الحد الأقصى في انحطاطها ، فأدرك ببعد نظره أن تربة مصر بكر فتقدم وبذر فيها بذور المدنية فآتت أكلها ، وعدّ عمله المجيد من أدهش ما قام به فاتح شرقي .

ما كان التاريخ الى زمن قريب الا تدوين أخبار الحروب على ما يرضي الملوك ، وقد يعرض لذكر الظواهر الجوية من الزلازل والأوبئة والمجاعات والسيول والجفاف ، ويذكر من يموت من الفقهاء والأدباء . والتاريخ اليوم يبحث في أسباب الواقعات ويحللها ويعللها ويسلسلها ويهتم بالاقتصاديات والاجتماعيات ويدقق في أسباب الغنى والفقر ، والبواعث الى الثورات والحروب ، وينظر في سيرة من يتولون السياسة ، ويلم بكل ما يرفع بني الانسان ويخفضهم . يقول صديقي الأستاذ محمد عبد الله عنان المؤرخ المعاصر : أصبح التاريخ في عصرنا علماً جليلاً يقوم على المباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

كان رجل يقول لابنه وهو يتفرس فيه الغباوة : يا بُني انك لن تكون رجلاً ، ومضت أيام وارتقى الابن في وظائف الدولة وأحرز لقب باشا . فبعث ذات يوم يطلب أباه لمقابلته بواسطة الشرطة . فقال الابن لأبيه : كثيراً ما قلت لي اني لن أكون رجلاً ، وها قد كذبت الأيام ظنك فأصبحت في هذه المرتبة وهذه الرتبة . فأجاب الأب : وما زلت على رأيي فيك فأنت وما بلغته من المظهر لا تعدُّ الى الآن في الرجال ، كيف تأتي بي اليك مخفوراً ، ولا تقدر ما يحدث لي ذلك من الترويع ? وهذه النكتة تصدق لعهدنا على بعض من ارتقوا في السنين الطويلة أو بعوامل أخرى ، وظلوا على فطرتهم من قلة الذوق وخشونة الطبع .

نشأ التبطل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى — وأذكر انه بلغ فيها عدد المتبطلين يومئذ ستة ملايين — فأصدرت الحكومة الألمانية قانوناً يحظر على الرجل تعاطي أكثر من حرفة ، حتى ينفسح المجال لكل وطني أن يجد رزقاً ، بمعنى أن الطبيب يبقى في طبه فقط لا يمارس الزراعة ولا التجارة ، ويحظر على المالي أن يتجر أو يستخدم في الحكومة أو في شركة ، وعلى صاحب العقار ان يفتح معملاً ، وهكذا قسمت الدولة موارد العيش بين الرعايا وزادت على ذلك ان نقلت المعامل من جوار المدن الى الأرياف ، ومنحت كل عامل قطعة من الأرض يزرعها عياله فتأتيهم ببعض مؤونتهم .

أما في الشرق فقد شهدنا الخياط موسيقاراً ، والمزارع يندس في عمال الحكومة ، والمحامي يرابي ، وعهدي بحجام يمارس مع حرفته خمس حرف ، ويملك يتجر ويقتني سفناً ينقل عليها تجاراته ، وبآخر يدير مزارعه على حسابه ولا يستطيع من في جواره من الرعية ان يبيعوا حاصلاتهم في الأسواق قبل أن تباع حاصلات الملك . فلو سرنا على القانون الألماني لوزعنا الثروة العامة على الطبقات ولقضينا على التبطل ، ولأدخلنا التحسين على الصناعات .

حدثني من شهد الثورة العثمانية المعروفة بانقلاب سنة ١٩٠٨ أن الأتراك في الأستانة أهانوا معظم وزراء السلطان عبد الحميد وعماله ، لما لقوا من جورهم أيام حكم الاستبداد ، الا عبد الرحمن باشا وزير العدل فانهم خطبوا في فضائله الخطب ، وأكبروا جلائل أعماله ، وعددوا بيض أياديه ، وحملوه على أكتافهم ورؤوسهم تمجيداً لماضيه الطاهر . يعرف الصالح من الرجال من عاشوا في حكم الطغاة على ما لا يعرف أمثاله في الحكومات الدستورية ، ذلك لأن من هم على شاكلته في الأخلاق قلائل في حكم الطغيان أشبه بالبقعة البيضاء في جلد الثور الأسود .

خطرت لي خواطر جمة وأنا أتصفح ديوان ابن حيُّوس في مدح الدولة الفاطمية وهجوهم لما أدبرت دولتهم ، ورجوعه بأماديحه على من خلفوهم ، وتلونه في مدح العرب والترك ، وتجلت لناظري صفحات من تاريخنا الأدبي والاجتماعي ، وساءني أن ينظم مثل هذا الشعر الجزل في مدح الظلمة ، وأن أشهد رجلاً سنياً يطعن في الخلفاء بدون حق ليثبت للباطنية من الصفات كل ما يرضيهم فيرفعهم الى درجة الربوبية . وقلت كم ضاعت في العرب قرائح شغلت بالعبث ، وطوى الدهر الشعراء وشعرهم وما أفادوا منه الا حفنات من الدنانير ركبوا للحصول عليها مراكب العار الى الأبد ، وما عهد ان لفت شاعر من هؤلاء المداحين نظر ممدوحه خليفة كان أم ملكاً أم أميراً أم قائداً الى عظم مصيبة الأمة بمن يقتل من النفوس في سبيل شهوات العظماء والى ما تئن منه الانسانية من حيف الكبير على الصغير . وما كان للشعراء من عمل الا أن يخلعوا على ممدوحيهم صفات أكثرها كذب وتضليل ، وان يصوروا الخلق في ظل تلك الدول الفاجرة كأنهم الملائكة في جنات النعيم . وفي يقيني ان طلاب الأدب لعهدنا يمرون بهذه الأماديح والأهاجي كما يمر عابر سبيل بجيفة تؤذي حواسه بنتنها ومنظرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلام صورة الروح الذي يصدر عنه ويكون وقعه في النفوس بقدر ما لقائله من اخلاص وصدق . شعر عمر بن ابي ربيعة وشعر الشريف الرضي أقرب الى القلوب من شعر المتنبي وشعر البحتري ، تقرأ في قصائد الأول والثاني العزة والكرامة وفي الثالث والرابع تتراءى لك المطامع وصغر النفس .

عرفت شيخين مصري وشامي تخرج الأول في دار العلوم وجمع الى تربيته الدينية الراقية تربية مدنية وأتقن الانكليزية حتى غدا يخطب بها كالانكليز . واكتفى الشيخ الثاني بالدرس في الأزهر ، وكلاهما من الذكاء على جانب عظيم . شهدتها لأول أمرهما راضيين عن حالتها الى أن قام في ذهن الأول أن صناعة التعليم عقيمة لا مستقبل لها فألقى نفسه في غمار السياسة طامعاً ان يتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن مصطفى كامل السياسي ، وراح يسير على خطته وما أفلح في تقليده . وكان الثاني ضعيف الثقة بنفسه فاكتفى بما تدره عليه مهنته ، وأضاف اليها أموراً يتكسب منها قليلاً ، الا انه ظل طول عمره يتحسر على أوقات قضاها في صناعة التعليم ، وكانت تهيج نفسه اذا رأى بعض تلاميذه يتقدمه في المراسم بحكم مركزه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندي ان هذين الرجلين صارا الى الانحطاط منذ أخذا يتطلعان الى ما لم يخلقا له ولا استعداد لهما للقيام به ، ولو كتب لهما أن يتوفرا على اسنتياز ما تعلما لأحرزا المظهر الذي تاقت نفسهما اليه من دون صخب ولا كبير تعب ، ولكانت الدنيا أرضعتها من أفاويقها ما يعيشان منه برفاهية ، وما ينقصهما من المظاهر يعوضانه بما يتمتعان به من رضا النفس وراحة القلب . وأكبر العيوب التي تبدو في بعض أهل هذه الصناعة أنها تحاول جمع المغانم بأمرها ، تريد العلم وشهرته ، وتريد الجاه والمال ، وتريد الحكم والسياسة ، وتريد أن تعرف بالتقوى والصلاح وهي أبداً حانقة تود لو لم تدخل فيما دخلت فيه من تحصيل العلم ، وانها لو سالمتها الأيام لجعلت لها الخيار في اتخاذ صناعة رابحة غير التعليم .

ربما كان الفقراء في القديم يهضمون أغنياء عصورهم أكثر مما يهضم أمثالهم في عصرنا . ذلك لأن الأغنياء في القدماء كانوا يعرفون واجبهم أكثر من هذا الخلف ، يفيدون من أموالهم من يحتاجون اليها وينفقون في نصرة الدين واحياء الآداب والعلوم ما كانوا يعتقدون ان الأمة لا تحيا بغيره . كان الأغنياء قديماً يحاسبون أنفسهم موقنين أن واجبهم ان يشاركوا الفقير في نعمتهم ، يبنون بيوت العبادة ، وينشئون المصانع المفيدة ، ويعينون الأدباء والشعراء على ماشغلوا به أنفسهم ، والفقيه والمحدث على نشر فقهه وحديثه . ولو لم يكونوا على ذلك في معظم الأدوار لماوجدنا اليوم في ديار الاسلام جامعاً ولا مدرسة ولا مستشفى ولا أدباً ولا علماً ولا فقهاً ، ولا شيئاً مما هو الدعامة الأولى في حياة الشعوب . كانت تقوم بهذه المحامد الطبقة العالية والتالية لتنفع الطبقة النازلة ، ولا تقصد من ذلك الا ثواب الله . وكانت الطبقة الثالثة أبداً موضع اهتمام سائر الطبقات .

عهدي بعشرات البيوت في الديار الشامية (دمشق ، حلب ، بيروت ، طرابلس ، حمص ، حماة ، نابلس ، القدس ، عكا ، يافا ، حيفا ، الناصرة ، صفد ، غزة) وقد نعق فيها غراب الخراب ، وافتقر أربابها بعد جيل أو جيلين من تأسيسها ، وذلك بالاسراف والمقامرات ، وباستنامة الأبناء الى ما خلف الآباء وترك السعي والعمل . أضاع الخلف ما خلفه السلف وأصبح حكم الأغنياء بعد النعمة الواسعة حكم من خلقوا فقراء ، والفرق بين هؤلاء ومن وصلوا الى الغنى وفقدوه ان قدماء الفقراء راضون عن حالتهم لا يستحون من ظهورهم بالمظهر الذي يقدرون عليه ، أما الأغنياء المفتقرون فأمسوا من المتعذر عليهم أن يلبسوا لباس المعدمين ويسكنوا في مثل منازلهم . حكم القانون الطبيعي بخراب تلك البيوت فاضمحلت ثرواتها بقلة التدبير وبتوزيعها بين الوارثين . ومثل ذلك جرى ولا يزال يجري في مصر وغيرها من ديار الشرق .

قالوا السفر قطعة من العذاب ، وما كان هذا العذاب في الواقع يصيب غير الفقير ، والغني في كل زمن مرفّه في سفره كما هو مرفه في حضره . واذا اعتمد الفقراء على ركوب الحمير والخيل والبغال والجمال في تنقلهم فالأغنياء كانوا في الشرق والغرب يركبون المركبات والمحفات والهوادج لا يزعجهم شيء كأنهم في غرفة من غرف بيوتهم هُيِّئت لهم فيها جميع موجبات الراحة ، فتنقل لهم أدوات مطابخهم وموائدهم وفرشهم ويحمل لهم البطيخ والفاكهة . ومن الملوك والأمراء في الشرق من كانت تحمل لهم على المطايا مساكب البقول والخضراوات يتعهدها خدامهم بالري والتربية في الطريق حتى يصيبوا منها ما طاب لهم في ابانه ، ومنهم من كان يحمل له الثلج من مئات من الأميال ، لئلا يضبقوا بالقيظ ، ويتململوا بالحرارة ، لا يختلف عيشهم في السفر عما كانوا ينعمون به لو كانوا في قصورهم في المدن .

ولقد كثرت الفنادق في الغرب منذ قرون ينزلها الأغنياء على الأكثر . وفي فارس كانت تتوفر للسائح الموسر كل ضروب الراحة لأن الدولة كانت تنقل أوامرها مع البريد على الخيل والبغال ، فأقامت محطات يتوفر فيها ما يقتضي للمسافر من أنواع النعيم . وأشبهت هذه المحطات الأديار التي كثرت في أوربا خلال القرون الوسطى ، وكان يقصدها السياح فتطعمهم وتؤويهم فان سمحوا لها بشيء قبلته وان لم يعطوها لا تطالبهم . بهذا كان القدماء يتغلبون على قطع المسافات ، وكانت مما لا يتصوره عقل أبناء هذا الزمان . ومعظم هذه المراحل الطويلة كانت في قفار وصحراوات لا ماء فيها ولا كلأ ولا حيوان ولا انسان . كان ابن المغرب الأقصى اذا نوى الحج يقضي حولاً كاملاً للوصول الى الأرض المقدسة والعودة منها في البر أو في البحر . واليوم تشهد أبعد المسلمين عن الحجاز داراً لا يصرفون أكثر من أسبوعين في السيارة او الطيارة . وهذا من فضل أوربا واميركا على البشر بما اخترعت عقول علمائها وأبدعته قرائحهم .

قيل انه بلغ عدد المصطافين في لبنان في صيف ١٩٥١ أربعين الف مصطاف ، وقدر ما أنفقوه بمليوني جنيه مصري . وقد عُنيت الحكومة اللبنانية بنقل المصطافين مجاناً في البحر والجو ذهاباً واياباً . وما كان هذا الاقبال على الاصطياف عظيماً في جبال لبنان الا لأن اللبنانيين كانوا يستعدون لاتقان صناعة الفنادق والمطاعم وما اليها ، منذ أكثر من نصف قرن ، وما أتى به اللبنانيون من أموال المهجر صرفوا جانباً منه في انشاء البيوت وتنجيدها واقامة الفنادق على اختلاف درجاتها ثم حملوا حكومتهم على أن تعبد لهم الطرق ، وتهيئ كل ما يعود على المصطافين بالراحة . وكان من توسع سكان الأقطار المجاورة في فهم مدلول التمدن وادراك قيمة الحياة والصحة مازاد به الاقبال على الاصطياف .

من أبرد ما يبدو على لسان بعض المتنطعين قولهم في الحفلات العامة اذا خطبوا : «أحييكم باسمي وباسم أبناء وطني» وهو ما وكل اليه أبناء وطنه قط ان ينوب عنهم في قول ما يقول ، وربما كانت أمته لا تعرفه ولا توافقه على فكره ولا على النيابة عنها ومنهم من يبلغ بهم التهوس فيما ليس لهم صوت فيه أن يحيوا من يحاول ان ينفقوا عليهم باسم العرب أو باسم أهل الاسلام كافة ، وفي هذا كل الرقاعة والسماجة .

محمد كرد علي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

معجم ما استعجم

تأليف : ابي عبيد البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ
وتحقيق : مصطفى السقا
وطبع : لجنة الترجمة والتأليف والنشر سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م

صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب القيّم ، ويشتمل على حرف « الكاف » وما بعدها من الحروف ، ويحوي فهارس شاملة ، لما فيه من اسماء البلدان والمواضع ، والمياه والجبال ، والأعلام العامة ، والقوافي ، وجدولاً لبيان بعض الأخطاء التي وقعت في الكتاب ، وتقع هذه الفهارس في أكثر من مئتي صفحة . قام محقق الكتاب بوضعها وترتيبها ، فزاد الكتاب قيمة علمية ، وسهل الوصول للمراجعين والباحثين الى ما يريدون ، وليس القارئ الكريم بحاجة الى تكرار القول عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة ، وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، ولا الى الاشارة الى ما قام به الاستاذ السقا من عمل ، وما بذله من جهد ، في سبيل اخراج هذا السفر ، اخراجاً مطابقاً لقواعد النشر الحديثة العلمية ، من حيث الجملة . ولا نريد بكلمتنا هذه أكثر من ايضاح بعض ملاحظات لنا على هذا الجزء ، نرى في ايضاحها مشاركة في البحث العلمي البحت ، ومساهمة في التحقيق الذي قام به الأستاذ الناشر .

فأولى هذه الملاحظات :

تحقيق النصوص القديمة يستلزم الرجوع الى مصادرها الأولى ، وهذا الكتاب فيه نقول كثيرة ، من كتب بعضها موجود ، وبعضها مفقود . ومحقق الكتاب ـ وان رجع الى قسم كبير من الكتب المتعلقة بالمواضع ـ فاته الرجوع الى كثير

من الكتب الموجودة ، التي نقل منها البكري ، فجاء مانقله ناقصاً ، أو مشوهاً محرّفاً . لقد أكثر البكري النقل عن الهمداني ، العالم الجغرافي المؤرخ ، والذي طبع من مؤلفاته « صفة جزيرة العرب » والجزآن الثامن والعاشر من « الاكليل » . ونجد فيما نقله البكري عنه ، في هذا الجزء مخالفة للنص الصحيح . ومثال ذلك :

١ — في صفحة ١٢٧٤ : (المَنْهَجَم : هو خزاز الجبل المتقدم ذكره . قاله الهمداني) . كذا — ولكن الهمداني قال هذا القول ؛ في سياق إبطاله ، ففي « صفة جزيرة العرب » — ص ١٧١ ، طبعة ملر في ليدن وهي الطبعة الوحيدة لهذا الكتاب — : (ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الذنائب ، وواردات ، وخَزَاز — ويقال فيه خَزَازى — ... وقد يرى قوم من الجهال ان ديار ربيعة ابن نزار كانت من تهامة ، من صُرْدُدٍ وبلد لعَسّان ، من عك ، وان تبّعاً أقطعهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذا من الأخبار المصنوعة ، لأن الملوك أجلّ من ان تحالف الرعايا ، وانما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا في المهجم وهي خَزَّة : خزازى ، وفي الانعوم : الأنعمين ، وفي الذنبات : الذنائب ، وفي العارضة : عويرض) . اهـ باختصار . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المَنْهَجَم وادٍ في تهامة ، يصبُّ في البحر ، قرب زَبِيد ، وانه كان يطلق عليه اسم خَزَّة ، ويقارب هذا الاسم « خَزَاز » وهو جبل له ذكر كثير في أشعار الجاهليين ، وله يوم من أشهر أيام العرب ، بين العدنانيين والقحطانيين ، ولكن هذا الجبل في عالية نجد ، وقد أورد البكري شيئاً من الأشعار والأخبار الواردة فيه ، وحينما ذكر « المَنْهَجَم » في هذا الجزء قال انه هو « خَزَاز » الجبل المتقدم ذكره ، وبون شاسع بين المَنْهَجَم ، الواقع في تهامة ، وخَزَاز ، الواقع في نجد ، المعروف في هذا العهد ، وسبب هذا الخطأ هو النقل الناقص المبتور .

٢ – ومثال آخر في ص ١١٧١ نقل عن الهمداني أيضاً ، يتعلق بأرب ، جُلُّه موجود في الجزء الثامن من « الاكليل » الذي طبع مرتين .

٣ – ومثال ثالث : لعرّام بن الأصبغ السُّلمي الاعرابي رسالة عن « تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه والجبال ، وما ينبت عليها من النبات » نقل البكري جُلَّها في كتابه هذا ، وصرّح بنقله في موضعين ، في أول الكتاب ، وفي مادة « رَضْوى » . وهذه الرسالة قد حققها ونشرها العلامة عبد العزيز الميمني الهندي ، سنة ١٣٤٢ هـ في « اورنتيل كوليج مجازين » التي تصدر في « لاهور » عن نسخة خطية ، موجودة في « الخزانة السعيدية » في حيدر آباد وكان خليقاً بالأستاذ السقا الرجوع الى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التي نقلها البكري منها ، ولكن ياقوت الحموي نقل جلها في « معجم البلدان » والسيد السمهودي مؤرخ المدينة ، نقل قسماً كبيراً منها في كتابه « وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى » و « المعجم » و « وفاء الوفا » مطبوعان ، وعدم تحقيق ما نقله البكري من هذه الرسالة ، سبّب كثيراً من الغلط في تلك النقول ، ففي ص ١٣٧٧ : (وَرِقانُ : ... من جبال تِهامة ، ومن صدر مُصْعِداً من مكة ، فأول جبل يلقاه وَرِقان) . وهذا القول من الغلط الشنيع ، (فَوَرِقانُ جبل لا يزال معروفاً ، وهو بعيد عن مكة ، بينه وبينها بِيدٌ دونها بِيدٌ ، وليس بأول الجبال التي يلقاها المصعد منها ، والكلام الذي ساقه البكري في تحديد هذا الجبل ، أخذه من رسالة عرّام – وان لم يصرّح بذلك كعادته في كثير مما ينقل – ولكن ليس في تلك الرسالة كلمة « مكة » بل كلمة « المدينة » وهي الصواب ، فجبل ورقان بقرب المدينة ، ولعلَّ كلمة « مكة » سبق قلم ، أو أن في الكلام نقصاً ، وان صوابه في معجم البكري : (ومن صدر مصعداً من المدينة الى مكة) . وفي هذه الصفحة مما نقله البكري : (واهل الحجاز يسمون الشُّمَّاق الضمخ ، وأهل الجَنَد يسمونه العُرْتُن) . وكلمة (الجَنَد)

تحريف لكلمة (نجد) الواردة في رسالة عَرّام [صفحة ١٢٧٥ طبعة الميمني في المجلة المذكورة] . وليس لأهل الجَنَد لغة تقارن بلغة الحجاز . وعلى ذكر اللغة أرى ان قول السيد السقا [ص ١٢٧١] : أنطى بمعنى أعطى في لغة اليمن فيه تساهلٌ ، اذ من المعروف ان هذه اللهجة لا تخصّ اليمنيين ، بل يشاركهم بعض المدنانيين من قيس عيلان وغيرهم ، ورباح بن الأشل الذي فسر السقا كلامه غنويٌّ من قيس عيلان ، وهذا أبلغ دليل على عدم حصر تلك اللهجة في اليمنيين ، وسكان القسم الشمالي من نجد ـ حائل وتوابعها ـ في هذا العهد يستعملون تلك اللهجة . وجاء في صفحة ١٣٥٢ : (تأتي من شَمَنْصِير وذَرْوَة ... وبأعلى كُلَيَّة ثلاثة أجبال صغار، منفردات من الجبال ، يقال لها سَنَابِك) . و«ذَرْوَة» و«سَنَابِك» مما تصحف على البكري ، اذ هما في رسالة عرّام : «ذرة» و «شَنَائِك» . والبكري هنا نقل كلام عرّام بتصرّف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثانية الملاحظات :

تقليل الأستاذ السقا من قيمة مطبوعة وستنفيلد ، وثناؤه على مطبوعته ، ففي مقدمة هذا الجزء يقول عن هذه الطبعة : (أرجو ان يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التي وقعت في تلك الطبعة ... فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصي الدقيق ... فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له في طبعة جونتجن ... فهرس القوافي ليس له نظير في طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله في دقة كاملة ، أما ما وقع من المؤلف من خطأ ، وكذلك ما وقع في مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونبهت عليه) هذا سوى ما في مقدمة الجزء الأول من هذا القبيل .

للأستاذ السقا ان يصف عمله بالاتقان والجودة والشمول والاحاطة ، فهو

أهل لذلك ، وان خرج عن جادة كثير من العلماء الذين يدعون هذا الأمر لغيرهم ، ممن يستطيع الحكم على أعمالهم حكماً نزيهاً عادلاً ، فمطبوعة جونتجن هي أول مطبوعة انتفع بها الباحثون ، وهي على ما فيها من أخطاء لم يسلم منها مطبوع عربي – على درجة حسنة من الصحة والجودة ، وطابعها مستعرب معروف بسعة الاطلاع ، وتحري الصواب ، ولو لم يكن من فضله الا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكفى في عدم النيل من عمله ، ان لم يوجب الثناء عليه . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان كثيراً مما ظنه الأستاذ خطأً في طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وان في كثير مما ظنه صواباً هو خطأ . ومن الأمثلة مما في هذا الجزء :

١ – في ص ١٣٣٣ : (وتجتمع سُيُول العقيق وبُطْحان وقَنَاة بالرغابة) . وأشار الأستاذ الى ان في طبعة جونتجن : « الزغابة » وقال انه تصحيف ، مع ان التصحيف هو ما اختاره الأستاذ اذ مجتمع سيول تلك الأودية « الزغابة » بالزاي لا بالراء (انظر كتاب وفاء الوفاء ج ٢ مادة « العقيق » و « زغابة » .

٢ – وفي ص ١١٥٠ : « (ضَمِّ القَنَانُ لِفَقْعَسٍ . .) وفي طبعة جونتجن « ضَمِنَ » وهي الصواب كما في معجم البلدان ، مادة « القنان » .

٣ – وفي ص ١١٤٤ : (ديار سَعْد بن هُذَيم) . وقال السقا : ان كلمة « بن » ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ؛ لأن سعداً هذا حَضَنَه عبدٌ حبشيٌّ يقال له هُذَيْم ، فغلب عليه ، فقيل : سعد هُذَيم ، وليس هُذَيْم أباً لسعد . (راجع المقتضب من جمهرة النسب مخطوطة دار الكتب المصرية) .

٤ – وفي ص ١٢٢٧ : « المِسْلَحُ : بكسر أوله . . . منزل على أربعة اميال من مكة) وفي طبعة جونتجن : (ايام) مكان (اميال) وهي الصواب ؛ قال الهمداني – في « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ – : (ومن أخذ الجادّة من مكة الى معدن النقرة ؛ فمن مكة الى البستان ٣٥ ميلاً ، ومنه الى ذات عرق ٢٤ ميلاً ، ومنها الى الغمرة ٢٠ ميلاً ، ومنها الى المسلح ١٧ ميلاً) اه ملخصاً .

وعذا من أدق ما يحدد بعد هذا الموضع عن مكة ، والظاهر أن كلمة «أميال» تصحيف لكلمة «ليال» .

٥ — وفي ص ١٢٧١ : (مَذْمِجٌ : بفتح اوله ، واسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) . وكلمة «معجمة» لا محلّ لها وهي مسقطة من طبعة جونتجن ، اذ «الجيم» لا مشابه لها لكي تميّز بالاعجام ، اعني لفظة «الجيم» .

وفي ص ١٢٨٥ : (الحَضْرَمِيُّ وهو عبد الله بن عماد بن سليمان) . وفي مطبوعة جونتجن (سلمى) وهو الصواب (انظر ترجمة العلاء بن الحضرمي في الأعلام للزركلي) .

والملاحظة الثالثة :

وقع في هذا الجزء هفوات قليلة ، أذكر بعضها . وتصحيحها :

١ — في ص ١١٥٧ :

ماكان بين الشَّيْطَيْنِ ولَعْلَعٍ لنسائنا الا مَنَاقِلُ أرْبَعُ

والبيت بهذه الصفة ، وان كان صحيح الوزن الا انه خرج عن وزنه الصحيح ، وصوابه : فما كان ... لنسوتنا

وبعده :

فجئنا بجَمْعٍ لم يَرَ الناسُ مِثْلَهُ يكاد له ظَهْرُ الوريعة يَظْلَعُ

٢ — وفي ص ١١٨٥ في تعداد اعراض اليمامة — : (المَجَازَةُ والعِرْضُ ، وحَجْرٌ ، والعَامِرِيَّةُ) . والصواب : (العَمَّارِيَّةُ) وهي قرية معروفة بهذا الاسم ، تقع عن الرياض غرباً ، بما يقرب من ثلاثين كيلاً [كيلو متراً] . وانظر «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٢ وفي «معجم البلدان» هذه المادّة .

٣ — وفي ص ١٢٠١ : «وبعث رسول الله ﷺ سرية الى مَدْيَنَ ، أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل مِينَاء ، قال ابن اسحاق :

ومِينْناه هي السواحل) . وكلمة ميناء تصحيف (مَقْنا) بالقاف مكان الياء والميم مفتوحة ، وهذا التصحيف ناشئ عن كون القاف بالخط المغربي تنقط بواحدة من تحتها ، ومَقْنَا قرية في ساحل مَدْيَن معروفة في هذا العهد ، بين «ظُبا» و «حَقْل» . وفي عهد الرسول ﷺ كن سكانها من اليهود ، يقال لهم بنو حبيبة ، (انظر معجم البلدان مادة مقنا ، وانظر كتاب الرسول ﷺ لأهل مقنا في كتاب (الوثائق السياسية في عهد الرسالة ، للدكتور محمد حميد الله الآبادي الهندي) .

٤ — وفي ص ١٢٣٦ : (ثم تنزل تِرْيَم ، وهي لبني جُشَم) . وتريم هنا تصحيف (بُرَيْم) بالباء الموحدة المضمومة بعدها راء مفتوحة ، فياء مثناة تحتية ساكنة ، فميم . وهو منهل لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، قرب جبل (حَضَن) في عالية نجد ، وثَمّ منازل بني جشم من هوازن قديماً ، (انظر لتحديد هذا الموضع «صفة جزيرة العرب» ، وفي كتاب لغدة الاصبهاني ، عن بلاد العرب : (ولهم بُرَيْم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز :

تذكرتْ مَشْرَبَهَا من تَصْلُبا ومن بُرَيْمٍ قَصَباً مُثَقَّبا) اه

أما تِرْيَم — بالتاء المثناة المكسورة فراء ساكنة ، فياء مثناة تحتية مفتوحة فميم — فموضع آخر في شمال الحجاز ، بقرب البحر ، في جهة مَقْنا ، وهو الذي ورد في شعر كُثَيِّر ، وتَرِيْمُ بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الراء واسكان الياء — بلدة معروفة في حضرموت .

٥ — وفي ص ١٢٤٨ : (قال ابو الصلت الثقفي) . والبيت المذكور هنا في ديوان أمية بن ابي الصلت ، وأمية هو المعروف بالشعر .

٦ — وفي ص ١٢٧٠ : (سَيْحان من جَنْب) . والصواب (سَنْحان) بالنون مكان الياء ، وهي قبيلة لا تزال معروفة ، ويسمى باسمها مخلاف من مخاليف

اليمن (انظر تاج العروس ـ هذه المادة ، وانظر الكلام على قبيلة جَنْب في كتب الأنساب) .

٧ – نقل الأستاذ السقا في حاشية ص ١٢٧٣ ـ عن معجم البلدان ـ ان مَنْفُوحَة قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى وبها قبره . وهي لبني قيس ابن ثعلبة ، نزلوها بعد قتل مسيلمة ، ولا أدري كيف غاب عن الأستاذ ان جملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا تتفق مع كونها قرية الأعشى والتي قبر فيها ، اذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بني قيس بن ثعلبة ؟ وإذن فجملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا محلَّ لها .

٨ – وقع في صفحتي ١٢٨٨ و ١٢٧٠ : (وحش خَبَّة) بالخاء ، وهي بالجيم (جُبَّة) منهل معروف في بلاد طيء ، بين بلدة « حائل » و « الجوف » والتصحيف هنا من البكري ، مثل كلمة (الحَزْوَرَاء) الواردة في ص ١٢١٨ وهي ـ فيما أرى ـ (الحَزْوَرَاء) التي ورد تحديدها في ص ١٣١٠ ، و (المِلْح) في ص ١٣٥٢ ـ الموضع الذي قال المؤلف انه مذكور في رسم القاعة ، وصوابه (مِلْنج) بميم مكسورة بعدها لام ساكنة ، فجيم ، وهو اسم قرية معروفة تقع غرب الأحساء ، في أرض تدعى الجَوْف ، وبقربها قرية تدعى (نِطَاع) . وقد أورد البكري [ص ١٠٤٤] في كلامه على القَاعَة ، انها تسمى الأجواف ، وذكر قول الشاعر :

طَعُونٌ كَمَلْقَى مِبْرَدِ القَيْنِ دَعْمَةٌ
بِجَرْعاء (مَلْنَجٍ) أو بِجَوِّ (نِطَاعِ)

وقال لغدة الاصبهاني في كتاب « بلاد العرب » : (ثم تخرج من بطن غِرٍّ ، فتقع في السِّتَار ، وفيه اكثر من مائة قرية ، لأفناء سَعْدٍ ، ولامرىء القيس بن زيد مناة ، ومن قراها ثاجٌ ، قال ذو الرمة :

نحاها لِناج ٍ نَخيبـــة ٍ ثم انه توخّى بها العينين عينيْ مُتَالِع

وعَيْنَا مُتالع منها ، وقرية يقال لها مِلْنج ، وقرية يقال لها انطاع ،

قال العجّاج :

إن تكُ دَهْناً ظَعَنَتْ عن دارها عامدةً لِمِلْنج ، أو سِتَارِها

فقد تصيدُ القلبَ باحْوِرارِها وكَفَلٍ يَنْصَارُ بانْصِيارِها

ومن التصحيف الذي وقع فيه البكري ، كلمة الهوَى ص ١٣٥٧ التي قال المؤلف إنها من مياه المَرُّوت ، والصواب ـ كما في «صفة جزيرة العرب» ص ١٥٣ ـ وكتاب لغدة الأصبهاني ـ ص ٤٧ نسختنا المخطوطة ـ «أهْوَى» بحذف اللام ، وأورد الاصبهاني فيها قول الراجز :

كَرِيمَةٌ زَوْجَهَـــا كَرِيمُها حلّتْ بأهْوَى فهوَى هويُّها

٩ — وفي ص ١٣٣٥ ـ عن النميرة : (ماءة في ديار بني تميم) ثم أورد المؤلف بيتاً للراعي النميري ، عقبه بقوله (فدلك ان حقيلًا من ديار بني تميم) . وكلمة (تميم) في الموضعين تصحيف لكلمة (نمير) قبيلة الراعي ، وحقيل جبل في بلادهم قال فيه الراعي :

وأفْضْنَ بعدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ من ذي الأبارق ، إذْ رَعينَ حَقيلا

١٠ — وفي ص ١٣٦٥ : (واقِصَةُ ماء لبني كليب) وفي الحاشية نقلاً عن المعجم : ماء لبني كعب ، وكليب وكعبٌ أصحُّ منها (كلب) . اذ واقصة هي الى بلاد كلب أقرب منها الى بلاد هاتين القبيلتين ، وقد ذكر بعض المتقدمين أن واقِصَةَ لبني أسد ، وبعضهم ذكر انها لطيء ، وأسد وطيء كانوا مجاورين لكلب .

١١ — وفي ص ١٣٩٨ : (بِلْقيس بنت هَدّاد بن شَرح) . وهداد صوابه ما نقل الأستاذ في الحاشية عن الجزء العاشر من الاكليل (الهدهاد) وأما شرح فهو (إلي شَرَح) كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس في طبعته الجزء الثامن من «الاكليل» ص ١٩ . وقد ورد هذا الاسم في المؤلفات التاريخية بصور مختلفة ـ ال شرح ـ اليشرح ـ الى شرح ـ الشرح .

١٢ — وفي ص ١٤٠٣ : (صَيْد بن هَمْدان) والصواب : (صَيْد من هَمْدان) . اذ الصيد ـ وقد ورد تعريفها وتنكيرها ـ من ولد عَمْرو بن جُشَم ابن حاشد ، وحاشد من همدان (انظر نسب الصيد في الجزء العاشر من الاكليل وانظر الجزء الثامن منه ص ٨٠) .

هذا ما أردت بيانه من ملاحظات وتصحيحات تتعلق بهذا الجزء ، غير مستوعب ولا مستقص ، ولا متعرض لأغلاط المصنف ، كقوله : (حُنَيْن وادي الطائف) ص ١٣٧٠ (كَدَاء جبل مكة هو عَرَفَة بعينها) ص ١١١٧ (المَرْوَة جبل بمكة معروف ، والصَّفَا جبل بإزائه ، وبينهما قُدَيْد ، ينحرف عنها شيئاً ، والمُشَلَّل هو الجبل الذي ينحدر منه الى قُدَيْد) ص ١٢١٧ — وأمثال هذا من الخلط في تحديد المواضع ، ولا لأغلاط الطبع مثل كلمة (مُعْتَمد) ص ١٣٣٨ التي صوابها (مُعْتمر) و (فَجّ) ص ١٣٥١ وهي (فخ) ، لأن تصحيح هذين النوعين من الخطأ — أغلاط المصنف وأغلاط الطبع — يحتاج الى تطويل قد لا تتسع مثل هذه الصحيفة له ، ولأن من يُعنى بالبحث في تحديد المواضع القديمة من العلماء ، الذين لهم من سعة الادراك ما يمكنهم من التثبت والتحقق ، والوصول الى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الكتاب القيّم ، الذي أشارك حضرة محققه في قوله : (إني لمغتبط اذ أقدم معجم ما استعجم ، بعد اتمام طبعه ، في هذه الصورة الى العلماء والباحثين في الثقافة العربية ... ليحلوه من خزائنهم محل الصديق الوفي ، يفزع اليه في التماس العون والرأي ، اذا أدجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشكوك وخاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية التي هي الوطن الأول للاسلام والعرب والعروبة) .

حمد الجاسر

قصة جزيرة قوصرة العربية

— ٢ —

الدجن بقوصرة :

يظن الواقف على هذا الكلام من تاريخ ابن خلدون أن آثار الاسلام بعد ذلك انقطعت تماماً من تلك الجزائر — ولا سيما في قوصرة التي نبحث عنها هنا بصورة خصوصية — والواقع أن الإفريقيين لم ينقطعوا عن تلك المستعمرات ، ولم يتركوها ، بل استمروا على الإقامة بها والتردد عليها مدة الدولة الحفصية . وقد تقدم لنا ما وصفها به ابن فضل الله العمري في القرن الثامن للهجرة ، حيث قال : « وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لهم » . ومثله ما رواه ابن سعيد الغرناطي المعاصر لتلك الحوادث ، حيث يقول : « وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية » ، وهؤلاء المسلمون الخاضعون لحكم الإفرنج كانوا يعرفون في بلاد المغرب — وخصوصاً في اسبانيا — باسم المدجنين (Mudejare)[1] .

ويستفاد من خبر ساقه ابن ناجي عرضاً أن جزيرة قوصرة — في أوائل القرن التاسع للهجرة — كان يقطنها المسلمون والنصارى معاً ، وأنها كانت خاضعة لحكم نصارى الإسبان ، وأن للمسلمين المقيمين بها قاضياً ينظر في شؤونهم الدينية وأحكامهم الشرعية ، وأنهم كثيراً ما كانوا يختلفون الى مرامي افريقية ، وبالخصوص على مدن الساحل الشرقية ، وهي سوسة والمهدية وصفاقس وقابس وجزيرة جربة ، فيما ذكره ابن ناجي . ويتبين من كلامه أن العلماء كانوا ينكرون

---

(١) أطلق نصارى الاسبان اسم (Mudejare) المحرف عن كلمة « مدجن » على من أقام تحت حكمهم من المسلمين في الجهات التي افتكوها من الأندلس .

على هؤلاء المسلمين رضاهم بالإقامة تحت حكم الكفار وعدم هجرتهم الى بلاد الإسلام ، واليك عبارة ابن ناجي بنصها [١] : «وجرى لي ، وأنا قاضي بجربة حدود سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) - أن قدم لي رسم فيه شهادة قاضي قوصرة بذكر خق شهود من عمله ، فطلب مني العارض أن أوقع على خطه ، فلم أمكن صاحبه من ذلك لأنهم (أي مسلمو قوصرة) قادرون على التحيل في الخروج منها ، وربما يخرج بعض من فيها ويعود اليها ، وهم تحت حكم الكفار» .

ويؤيد ذلك أيضاً الفتوى الصادرة من عالم تونس في وقته - الإمام البرزلي - التي يقول فيها [٢] : «ومثله عندنا بافريقية أهل قوصرة ، فإنها تحت ايالة أهل الكفر ، وقد اختار بعضهم الاقامة بها ، فمن غلب على أمره منهم فله مندوحة وليست بجرحة في حقه لأنه كالمكره ، ومن كان باختياره فهو جرحة وحكم ما له يجري على ما سبق ، وهم - أي مسلمو قوصرة - ونحوهم من أهل الأندلس يسمون بالدجن» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظام الحكم بقوصرة :

لم نقف في المصادر التاريخية التي لدينا على نص يفيد ما كانت عليه هيئة الحكم ونظام الادارة بالجزيرة ، مدة الاستيلاء العربي . أكان فيها حاكم بانفراده

(١) راجع شرح رسالة ابن أبي زيد (طبعة مصر ١٣٣٢ ، ص ٤٠٦) تأليف القاضي ابي القاسم بن ناجي القيرواني المتوفى في رجب سنة ٨٣٩ (يناير ١٤٣٦م) .

(٢) راجع «المعيار» للونشريسي ، طبعة فاس ، سنة ١٣١٤ ، ج ٢ ، وكذلك «جامع مسائل الأحكام» خط بمكتبتي ، تأليف أبي القاسم محمد بن احمد البرزلي مفتي تونس المتوفى سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨ م) . وأقول بالمناسبة إنه لو أمكن استقراء المؤلفات المحررة في الفتاوى ومسائل الفقه وفروعه خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر بالأقطار المغربية — تونس والجزائر والمغرب — لتيسر اخراج مالا يحصى من مسائل التاريخ الصحيح بالوثائق الثابتة عن أخبار المغرب والأندلس ، وبخصوص علائقه ببلاد الافرنج وجزائر البحر المتوسط ، ونحن في حاجة أكيدة الى ذلك لفقدان ما يعتمد عليه في هذا الشأن من كتب التاريخ العربي .

من لدن الدولة الافريقية ، أم كانت راجعة بالنظر الى والي مالطة أو صقلية ؟ وهذا مما لم نعرفه من الأنباء الواصلة الينا .

ولا خفاء أن الأمراء من بني الأغلب كانت لهم عناية تامة بممتلكاتهم ، واهتمام خاص بسيرها وعمرانها وتقدمها ، فقد كانوا لا يتخلون عن تفقدها بأنفسهم من حين الى آخر ، ومهما مست الحاجة الى ذلك . وقد يفيدنا التاريخ أن الأمير محمداً الثاني - الملقب بأبي الغرانيق - ركب البحر مرة من مرفأ سوسة الى جزيرة قوصرة ، وأقام بها بضعة أيام للكشف عن أحوالها ، ثم عاد الى القيروان عاصمة ملكه . ولا شك أن غيره من أمراء تلك الأسرة كانوا يقصدونها ، كما كانوا يزورون مالطة وصقلية ، للوقوف على حالة البلاد والاستماع الى شكاوى الرعايا .

وفي اعتقادي أنه كان لقوصرة عامل مستقل ، ينظر في شؤونها الادارية ومصالحها الحربية والاجتماعية ، كما كان لها قاض شرعي مستقل يقضي بين سكانها المسلمين في أمور دينهم وأحوالهم الشخصية تنصبه حكومة القيروان أو المهدية ، وكذلك كان الشأن في بقية الاصقاع العربية المنقطعة عن العدوة .

ولما انفصلت قوصرة عن حكم الاسلام صار مسلمو الجزيرة هم الذين ينتخبون من بينهم قاضياً ، ترتضيه حكومة النصارى وتمضي أحكامه الشرعية ، على ما يستفاد من كلام ابن ناجي . ودام الأمر على هذا النظام الى القرن التاسع من الهجرة - وربما الى القرن العاشر - غير أننا لا نعلم بعدها ما كان مصير المسلمين المدجنين بها ، ولا شك أنهم بتوالي الزمان وانقطاع المدد المادي والمعنوي عنهم من افريقية العربية - لعجز الدولة الحفصية في آخر عهدها - انتثر عقدهم ، وتبدد شملهم بالتدريج إلى أن آل أمرهم الى الاضمحلال .

والظن الغالب - البالغ درجة اليقين - أن الاسبان في مدة تغلبهم على قوصرة عفوا على بقايا المسلمين بها ، وألزموهم التنصر قسراً ، مثلما فعلوا مع اخوانهم المدجنين - في الوقت نفسه - في أصقاع الأندلس ، ولا غالب الا الله !

جزيرات عربية أخرى :

وما ذكرناه عن أحوال سكان قوصرة في العصر الحفصي يمكن أن يقال مثله عن مسلمي بعض الجزائر الصغيرة الأخرى ، مثل لنبدوشة (Lampedusa) ونموشة (Linosa) في الشرق من البلاد التونسية ، والتابعتين في النظر الى قوصرة . وقد يجد الباحث عنها نتفاً مبعثرة هنا وهناك أثناء المطالعة في المطولات ، فقد خصها ابو عبيد البكري في « مسالكه » (١) بمجرد الذكر ، ورسمها أمام جزيرة قرقنة التونسية - يعني في شرقيها - وهو الواقع ، وأثبتها الشريف الادريسي في نزهته بقوله (٢) :

« وأما جزيرة لنبدوشة فبينها وبين أقرب بر من افريقية حيث قبودية (مكان بلد الشابة الآن) مجريان ، وبها مرسى مأمون من كل ريح ، ويحمل الأساطيل الكثيرة . وهذا المرسى منها في اللباج (أو : الباس وهو مابين الغرب والجنوب) ؛ وليس في جزيرة لنبدوشة شيء من النبات ، ولا من الحيوان البري . وجزيرة غموشة في الشرق مع الشمال يسيراً ، ثلاثون ميلاً ، وليس بجزيرة غموشة مرسى ولا شعراء ، والإرساء بها يكون مخاطرة » .

وهذا الوصف - فيما رأيت - أشمل ماوقع لجغرافيي العرب عن تينك الجزيرتين الصغيرتين .

وقفت على فتوى للامام ابي عبدالله المازري ومنها (٣) :

(١) ص ٨٥ ، طبعة باريس ، ١٩١١ .

(٢) مجموعة أماري ص ٢٤ ، ٢٥ ونزهة الأنظار لمقديس الصفاقسي طبعة تونس ج ١ ص ٥٣ .

(٣) الامام المازري هو محمد بن علي ينسب الى مازرة (Mazzara) من مدائن صقلية ، وتوفي بالمهدية ٥٣٦ (١١٤١ م) . وقبره بالمنستير ، وله مصنفات كثيرة في علوم الشريعة وغيرها ووردت الفتوى المذكورة في « المعيار » للونشريسي ج ٨ ، وفيه ترجمة ترجمة وافية جامعة في رسالة وضمنها في ذلك .

« وسئل الامام المازري عمن دفع لرجل مالاً قراضاً ليسافر به الى المشرق وكتب بينهما وثيقة ، واشترى الرجل بضاعة وحملها في مركب ، فلما وصل الى جزيرة انبدوشة انفتح المركب وخشي عليه الغرق ، فرد سالماً الى المهدية ، ورفع البضاعة الى رب المال فطالبه بالوثيقة ... » ، الى آخر ما بالفتوى .

ومن هنا يستفاد أن السفر بين المهدية والاسكندرية بالسفائن الشراعية ـ في القرن السادس للهجرة ـ كثيراً ما كان يقع على طريق لنبدوشة هذه .

قوصرة والأتراك :

ولنعد الى أخبار قوصرة بالخصوص ، فانها بقيت تحت حكم الاسبان الى أن ظهرت سلطة الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط ، وطمحت نفوسهم الى الاستقلال بالسيادة عليه .

ولقد أثبت التاريخ أن الزعيم التركي طورغود باشا ـ ويسميه التونسيون درغوث ـ افتتح قوصرة باسم السلطنة العثمانية ، وافتكها من يد الاسبانيين ، بعد ما استولى على مرسى المهدية الحصين ، وذلك في سنة ٩٦٠ (١٥٥٣ م) ، وقد اتخذها معقلاً مأموناً لسفائنه الحربية .

وقد دامت قوصرة في تصرفه مادامت المهدية تحت يده ، ثم استرجعها طائفة الاسبتارية المعروفين بفرسان مالطة ، فبقيت تابعة لحكمهم زماناً طويلاً الى أن وضع الانكليز أيديهم على جزيرة مالطة ، وألحقوها بامبراطوريتهم الكبرى سنة ١٢١٥ (١٨٠٠ م) .

وانا لا ندري ـ كما قدمنا ـ أكان يقيم بقوصرة في تلك الأثناء شرذمة من بقايا المسلمين ، أم أنهم أجبروا جميعاً على التنصر من لدن الاسبان ، ثم من فرسان مالطة ، وهو المحتمل الغالب على الظن . والأمر الذي نعلمه يقيناً هو أن لغة التخاطب بين سكان تلك الجزيرة كانت العربية ، وأن لباسهم ـ الى عهد غير بعيد ـ كان لباس مسلمي البلاد التونسية .

قوصرة واللغة العربية :

وبين أيدينا من ذلك العصر رحلة حررها شاب فرنساوي اسمه جان بوني (Jean Bonnet) ، أسره القرصان التونسيون ، وأقام مأسوراً في تونس خلال سنتي ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ م (١٠٨٠ ، ١٠٨١ هـ) ، يعني على عهد الأمراء المراديين . ثم أمكنته الفرصة من الفرار من مرسى سوسة على سفينة شراعية ، فعاد الى وطنه فرنسا ، بعد أن اجتاز على جزيرة قوصرة [1] .

يتلخص من هذه الرحلة المفيدة أن ذلك الشاب – وكان ربانًا باحدى السفائن – لما حل في جزيرة قوصرة بعد فراره ، وهي أول ما وصله من أرض الافرنج ، لم يقدر على التخاطب مع سكانها – وان كانوا نصارى – الا بواسطة ترجمان مالطي ، اذ كانت اللغة التي يتكلم بها أهل بنطلارية تشبه كثيراً اللهجة الجارية بين سكان جزيرة مالطة . ومن هنا يتضح لك أن العربية ظلت مستعملة بين قاطني قوصرة الى أوائل القرن الثاني عشر من الهجرة ، بل انها كانت لسان تخاطبهم الوحيد لا يعرفون غيرها من اللغات الافرنجية . ولا شك أن لهجتهم هذه لم تكن بالعربية الخالصة ، بل كانت لهجة أصولها عربية محرفة كثيراً ، في مستوى ما يتكلم به اليوم في جزيرة مالطة أو أقرب بقليل منها الى الفصحى ، بالنظر لقرب ما بين قوصرة وبلاد تونس العربية . وليس أدل على ذلك من أعلام الأماكن وأسماء البقاع الموجودة في قوصرة ، فانها عربية بنسبة ثمانين في المائة .

أذكر أن بعض المعارف الايطاليين قال لي ذات يوم : – أليس من العجب أن تبقى أعلام البقاع في قوصرة عربية بهذه النسبة العظيمة ، بعد ما امتلك

---

(١) راجع الرحلة المعنونة « Relation de L'esclavage d'un marchand de Cassis à Tunis » Rédigée par A. Galland, Paris 1810.
وكذلك الفصل المنشور في مجلة الكاهنة « Un Marchand provençal esclave à Tunis par P. Grandchamp « La Kaheena » , Tunis, oct. 1938 P. 134.

سلوم (Sollume) — أي السلم ، وهي طريق متصعدة في الجبل ونطقهم سلوم ـ بزيادة الواو ـ يشبه تماماً ما باللهجة التونسية .

خربة (Harbe) .

زيتة (Zita) .

كدية (Cuddia) — لكل مكان مرتفع ، وهذه التسمية تدخل على جملة من الأماكن .

الحجر (Khagiar) .

أبو قرة (Buccura) — والمظنون أنه اسم علم في الأصل أطلق على المكان .

كدية ابن سلطان (Cuddia Bonsultan) .

طريق ابن سلطان .

بو جابر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بني قائد (Beni Cued) .

بويرة (Buria) — تصغير بئر مع التأنيث .

بلاطة (Balata) .

طريق الريح .

خنقة ؛ وينطقونها حنكة (Hanaca) — اسم مضيق بين جبلين .

الغلقة (Le galche) .

كدية التنورة (Cuddia attalora) .

صداري (Sidere) .

وسواها كثير جداً ، وربما عد بالمئات ، اقتصرنا على جلب المهم منها .

مفردات عربية :

ولو أردنا احصاء الكلمات العربية المستعملة الى الآن في اللهجة القوصرية الايطاليـة ، للزمنا إفراد معجم صغير مستقل ، لذلك نكتفي هنا بالاشارة الى شيء منها :

زبيب (Zebibo) — للعنب المجفف .

بفرة (Bifra) — لباكورة التين (وينطقها التونسيون بالثاء بدل الفاء) وكلاهما صحيح ، والأصل في هذه الكلمة يوناني معرب .

سواقي (Scivachi) — جمع ساقية ، محل مسيل الماء .

دكانة (Duccana) — وهي المصطبة .

سكارة : القفل (وينطقون بها سكالة) ، وقد يستعملون مثلاً جارياً الى اليوم في اللهجة التونسية وهو قولهم « كيف بيب كيف سكالة » ومعناه : الباب يساوي القفل في الرداءة .

والقوصريون يعرفون شخص جحا الذي تنسب اليه الحكايات الطريفة ، وهم يلفظون اسمه جفا (Giufa) بقلب الحاء فاء ، كما هو جار في بعض كلمات أخرى ، وينسبون اليه حكايات ونوادر مضحكة .

لبلاب : اسم نبات معرش معروف .

داموس (Damusso) ويعنون به كل بناء معقود (مقوس) . كما هو في التونسي .

سامي (Sessi) — تحريف أساس . ويعنون به كل بناء مقام من الحجارة الكبيرة ، ويلاحظ أيضاً أن هذه الكلمة يستعملها كثير من سكان جزيرة سردانية للدلالة على بناءات قديمة منتشرة في بلادهم .

خفاف ، حجر من نوع اللخاف الذي يطفو على الماء .

بلاطة : حجارة كبيرة منبسطة (Balata) .

شميشة : تصغير شمس .

حربوشة : القطعة من العجين تدور ثم تلقى في الرماد السخن حتى تستوي ، وهو ما يسمى عند فلاحينا بخبز الملة .

مطيرة : القطعة من الأرض تعد للحراثة .

صبالة : السبيل الذي يشرب منه الماء .

حفيان : وينطقون بها حفيانو (Afiano) يصفون بها الرجل اذا كان حافياً من غير حذاء .

وسوى ذلك كثير من الكلمات العربية الأصل ، وقد يصعب الوصول الى تحقيقها وارجاعها الى أصولها . وفيما ذكرنا كفاية لمن يريد أن يثبت أن العربية دأبت مستعملة في قوصرة الى عهد غير بعيد ، كما قدمنا . ثم طغت عليها الايطالية ـ أو بالتحقيق لهجة صقلية ـ لما آل أمر هذه الجزيرة الى حكومة رومة ، وبقيت كلمات عربية مندسة في المفردات التي لم يصلها التعليم والتقليد والحضارة الأوربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العادات والتقاليد :

وما قيل في لغة التخاطب يقال في العادات والتقاليد ، فقد ظل سكان قوصرة الى زمان ليس بالبعيد مقلدين أهل افريقية في عاداتهم العربية وأنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم في كثير من مظاهر الحياة : فقد كانوا يلبسون الشاشية التونسية الحمراء (الطربوش المغربي) ، ويكتسون (القشابية) الصوفية من صنع الساحل التونسي وجزيرة شريك ؛ ثم بانقطاع العلائق التجارية بينهم وبين تونس ـ من نحو مائة سنة أو أقل من ذلك ـ تحولوا الى لباس البرنيطة والأكسية الايطالية ، وكانوا لا يعرفون من الأواني والماعون الا ما يرد عليهم من فخار جزيرة جربة ، كالجرار لخزن الزيت ، والجوابي للخمر ، والقلال وأكواز الماء ، وهلم جرا . وكذلك كان نساؤهم الى أمد قريب يحتجبن ، واذا خرجن من البيوت

لعمل ما أو الى الكنيسة ينعجرن بلحاف أسود ، ولا يتركن ظاهراً من وجوههن الا العيون ، وكأنهن قلدن في اتخاذ ذلك الازار الأسود الذي ترتديه نساء الساحل التونسي عند الخروج من بيوتهن ، لا سيما من بينهن نساء مدينة سوسة . وخلاصة القول أن غالب العادات العائلية والاجتماعية بقوصرة كانت تمت الى التقاليد العربية بصلة .

ولطالما وقع العثور في سواحل قوصرة وفي بريتها على نقود عربية مضروبة بافريقية ، في أيام الأغالبة والعبيديين وبني حفص ، كما أن البحوث الأثرية [1] كشفت بها عن عدد لا يستهان به من الكتابات العربية المنقوشة على الحجارة وألواح الرخام (مشاهد) كانت موضوعة على قبور أعيان من سكانها في العهد الاسلامي ، مما يدل على اندماج هذه الجزيرة في بوتقة المدنية العربية كغيرها من البلاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

يتلخص مما تقدم أن كثيراً من عادات أهل قوصرة في زيهم وكلامهم ، وطرائق بنائهم وفلحهم للأرض وصناعاتهم اليدوية ، يرجع بأصله الى التقاليد التي ورثوها عن أبناء افريقية الاسلامية ، كما ورثها غيرهم عن العرب أيضاً من سكان صقلية ومالطة وسواهما من جزائر هذا البحر .

وهكذا جرت سنن الكون في عملها الفعال منذ انبلج صبح الحضارة على ضفاف البحر المتوسط ، فقد حملت رياحه وأمواجه الغادية الرائحة بين جوانبه

---

(١) راجع بحث الأستاذ أورسي (Orsi) في مجموعة ١٨٩٩ ، ص ٤٥ ومابعدها ، ج ٩ Monumenti Antichi dep Lincei ، وكذا بحث العلامة ميكالي أماري ، طبع بلرم ١٨٧٩ ، وعنوانه le epigrafi Arabiche di Sicilia ص ١١٨ وما بعدها .

بذور مدنيات مختلفات تأتي بها تارة من المشرق الى المغرب ، وتنقلها أخرى من الجنوب الى الشمال طرداً وعكساً ، وتمزجها بالتراب والرقاب حتى اذا ما تألف منها هيكل متجسم الظاهر ، متماسك الأجزاء ، انسجمت في ثناياه مؤثرات خفية اندست في باطن التربة وفي أعماق النفوس ، وسرت فيها مسريان الماء في العود ، وجرت جريان الدم في الشرايين ، صنعة الله ، ومن أحسن من الله صنعاً !

فمن تلك البذور ما يضمحل بعد حين ويندثر لحقارته وعدم صلاحيته ، ومنها ما يظل حياً نامياً دهر الداهرين لمتانة في أساسه ، وقوة في وقعه ، وفائدة في بقائه ، مصداق قول الله تعالى :

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

حسن حسني عبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٢ -

متى ترك خالد العراق ؟

قلنا ان الروايات ، ما عدا رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ سفر خالد من العراق . روى المدائني ان خالداً شخص من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وقد أيد ذلك البلاذري ولعله روى اخبر من المدائني . وأورد الذهبي ان كتاب ابي بكر جاء خالداً في اوائل سنة ثلاث عشرة . وهناك روايات عديدة تقول ان أمر ابي بكر وصل الى خالد بعد منصرفه من حجته سنة اثني عشرة ، وهذا ينطبق على ما ذكره الذهبي . وما دام خالد تكتم في حجته هذه فلا بد أنه ترك مكة بعد الحج وتوجه تواً الى العراق ، ولا يستطيع أن يصل اليه قبل انقضاء أكثر من نصف شهر . لهذا لا يمكن أن يصل أمر أبي بكر اليه الا في المحرم سنة ثلاث عشرة .

علمنا مما تقدم أن خالداً أغار على الغسانيين بمرج راهط في عيد فصحهم أي في يوم ٢٤ نيسان سنة (٦٣٤) وهذا يصادف يوم ١٩ ربيع الأول سنة (١٣) . واذا فرضنا أن أمر ابي بكر وافى خالداً في منتصف المحرم أو في أواخره ، واذا علمنا أنه قضى بعض الوقت ليتأهب للسفر ، إذن لا يشرع بالسفر الا في نهاية شهر المحرم او في أوائل شهر صفر ، أي قبل منتصف شهر آذار سنة ٦٣٢ أو بعده .

أما المدة التي قضاها في السفر فلا يمكن معرفتها قبل معرفة الطريق التي سار فيها خالد في سفره الى الشام ، ومعرفة فيما اذا قضى بعض الوقت في الاغارات والفتوح كما جاء في الروايات ٠

الطريق التي سلكها خالد[1] :

أشرنا فيما سبق الى أن خالداً أوفد مدداً وغوثاً الى جيش المسلمين في الشام والى أن ابا بكر استحثه في المسير طالباً اليه أن يسرع الى نجدة اخوانه قبل أن يهاجمهم الروم ؛ لهذا يتراءى لنا أنه يختار الطريق الأقصر في سفره ٠ ولا يخطرن على بالنا أنه سلك طريقاً لا ماء فيها والموسم كما علمنا ، ليس موسم شتاء ٠

والطريق الأقصر الذي يربط العراق بالشام هو درب الساعي أي ساعي البريد الذي يقطع بادية الشام من الغرب الى الشرق ويبدأ من دمشق ماراً بقرية ضُمير وينتهي بقرية هيت على الفرات ٠ ويبلغ طول الطريق هذه أكثر من ستمائة كيلو متر ؛ ولا يوجد فيه الماء الا في أماكن محدودة وهو غير متوفر بها ولا يمكن أن تسلكه جماعة كبيرة ٠ لهذا ينبغي لنا أن نفتش على طريق أخرى يكثر فيها الماء ٠ وهذه الطريق إما أن تكون في الشمال أو في الجنوب ، أي الطريق التي تسير بها القوافل بين العراق والشام ٠ والطريق الشمالية تسلك وادي الفرات حتى (الفراض) ثم تترك الوادي وتتوجه الى الشمال الغربي الى (السخنة) ومنها الى تدمر فالقريتين ، فحوّارين ، فدمشق ٠ وتبدأ الطريق الرومانية القديمة من الفراض وتمر بالرحبة والسخنة ثم تذهب الى تدمر ومنها تتشعب عدة طرق رومانية الى حمص وحماة ودمشق ٠ ومن السخنة تتشعب طريق الى الرصافة ومنها الى (صورا) على ضفة الفرات ٠ وطول الطريق هذه من الحيرة الى دمشق أكثر من ألف كيلو متر ٠ وتمر بالحصون التي أقامها الروم على حدود البادية كما تجتاز قلعة تدمر الحصينة ٠ أضف الى ذلك أن الطريق المذكورة تجتاز ديار تغلب وهي القبيلة الكبيرة الموالية للروم ومنها العرب المتنصرة ٠

---

(١) راجع الخريطة ٠

لهذا لا يعقل أن خالداً يسلكها لأنها طويلة ، ولأنه لا بد من الاصطدام بالحصون والقلاع ، والجند الروماني ومرتزقة العرب مرابطون في المخافر وقد يسعى الروم الى ارسال قوة من مراكز أجنادها لسد الطريق بوجه خالد ومنعه من الانضمام الى المسلمين ، وما دام المسلمون بحاجة اليه في الشام فينبغي لخالد أن يتجنب ما يؤخر سيره من قتال ومحاصرة حصون وقلاع .

تفصيل الطريق بين العراق والشام :

ذكر ابن خرداذبة طريقين تقطعان البادية بين العراق والشام .

الأول – الطريق من عين التمر الى بصرى وتفصيلها ، من عين التمر الى (الأخدمية) ثم الى (الخفية) ثم الى (الخلط) ثم الى (سُوَى) ثم الى (الأجيفر) ثم الى (القريّة) ثم الى بصرى [1] .

الثاني – من الكوفة الى دمشق وتفصيلها من الحيرة الى (القطقطانة) ثم الى (البقعة) ثم الى (الأبيض) ثم الى (الجبة) ثم الى (القلوق) ثم الى (الرواري) ثم الى (الساعدة) ثم الى (البقيعة) ثم الى (الاعناك) ثم الى (أذرعات) ثم الى (منزل) ثم الى (دمشق) [2] .

لقد ثبت (ألويس موسل) في كتابه هذين الطريقين . فثبت الأولى كما يلي [3] :
(الأخدمية) تسمى اليوم (أخدمية) وهي على خمسة وسبعين كيلومتراً غربي عين التمر . وهو اسم لبئر في شعيب الأخدمية . أما الخفية والخلط فقد تحور اسمها ، والخلط انقلب الى (غدير الخلط) على بعد مائة وعشرة كيلومترات غربي الأخدمية ؛ أما الخفية فهي (خفّاية لاهه) على الطريق القديم بين العراق

(١) المسالك والممالك ص (٩٧) .
(٢) « « ص (٩٩) .
(٣) Arabia Dezerta - Aleys Musil ص (٤٢٦)

والشام غربي غدير الخليط على مسافة مائتين وعشرين كيلو متراً . أما سُوى فذكر موسل ان ابن خرداذبة ذكرها خطأ بدلاً من (قُراقر) لأن البيت الذي أورده شاهداً هو الذي يذكر تفويز خالد بن الوليد من قراقر الى سوى بدلالة رافع ، قراقر في أول المفازة وسوى في منتهاها . ولأن سوى تقع في الشمال بعيدة كثيراً عن هذه الطريق .

أما الغربة فهي (أم غُرُبات) على سبعين كيلو متراً غربي قراقر والمسافة بين أم غربات وبصرى مائة واربعون كيلو متراً .

وقد ثبت موسل الطريق الثانية كما يلي[1]:

القطقطانة هي قرية (القطقطانة) الحالية ولا تزال مسكونة على بعد خمسة واربعين كيلو متراً غربي النجف . والبقعة فلم يثبتها . أما (الأُبَيْض) فقد ثبته (بخشم المعزّة) وقال موسل ان (غرّة) مؤنث (الأبيض) وهو على بعد ستين كيلو متراً غربي القطقطانة وبالقرب من بئر (أَلمكمن) الغزير المياه . ولعل الحوش هو الجوش وقد وجد موسل في الطريق (خَبْرة الجوشيه) في نهاية وادي (عَرار) على بعد خمسين كيلو متراً جنوبي غربي الأكمن . ولعل الجمع هو (غدير الجمعان) على ستين كيلو متراً غربي الجوشية . والخوطي (غدير الحط) على خمسة وستين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي الجمعان . ويجوز جبه تهجئة خاطئة لحوض (مجنية) الكبير الذي تجتمع فيه مياه الأمطار ، وهو على بعد مائة كيلو متر غربي ، شمال غربي الحط . أما القلوفى فوردت باسم (علوى) في مخطوطة اكسفورد لعلها (عَوْدِيّة العَلَوِيّة) وهي على ستة وتسعين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي مجنة . والرواري فهو تحريف الدواري أي (الدوارة) الحالية أو تحريف (الزواري) وهو اسم لبركة مهمة على ثمانية وخمسين كيلو متراً غربي العلوية . والساعدة ، يجوز أن تكون منبع (صَعدَة)

(١) المصدر السابق ص (٥٤٤) .

على خمسين كيلومتراً غربي الدوارة • وتقع الأعناك والبقيعة في جبل حوران • والمنزل بين أذرعات ودمشق هو (الكسوة) •

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاويم ثلاث طرق بين العراق والشام (١) •

الطريق الأولى طريق (الكوفة الرُهيمة — البخيت — القراني — الخنفس — أحشية — العنزيفة — قراقر — الأزرق — عمان) •

وقال : «وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة الى الرهيمة ١٢ ميلاً ثم الى البخيت نهارين ثم الى القراي مثلها ثم الى الخنفس نهاراً ثم الى الحشية مثله ثم الى العنزيفة مثله ثم الى قراكر مثله ثم الى الأزرق مثله ثم الى عمان مثله ، الجميع ١١ مرحلة خفافاً •

وفصل موصل هذا الطريق وبين أن الرهيمة قرية على بعد ثلاثين كيلومتراً غربي الكوفة • وقال ان البخيت ورد اسمه في مخطوطتي برلين واستانبول (البريت) وهو على بعد مائة وعشر كيلو مترات غربي ، جنوبي غربي الرهيمة وجاء اسم القرابي في مخطوطة استانبول بدلاً من القراني وهو غدير القرابي على تسعين كيلو متراً غربي البريت • وقد انتقل اسم بئر الخنفس الى عمارة الخنفس وهي خربة في وادي الابيق على بعد مائة كيلو متر وكيلو مترين غربي ، شمالي غربي القرابي • أما الحشية فهي بزيكة (ام إحسية) الواقعة على بعد مائة وخمسة عشر كيلو متراً غربي الخنفس • لم يعثر موصل على مرحلة العزيفة • ولا ماء في هذه الطريق في مسافة أربعمائة وخمسين كيلو متراً من البريت الى قراقر ولا يعثر المسافر على الماء فيه الا بعد هطول أمطار غزيرة •

الطريق الثانية — طريق (هيت — دمشق) : لم يذكر المقدسي اسماء المراحل في هذه الطريق ولكنه اكتفى بقوله بأنها تقطع في عشرة أيام • فاذا قطع المسافر في كل يوم ستين كيلو متراً فيكون طولها ستمائة كيلو متر •• يؤكد

---

(١) المقدسي : أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم ص (٢٥١ — ٢٥٢) •

موصل بان هذه الطريق هي الطريق التي تسمى الآن بدرب الساعي الذي كان بريد الهجين يقطعه قبل الحرب العامة الأولى من ضمير الى هيت ماراً ببادية الشام من الغرب الى الشرق ٠ والمسافة من هيت الى (قصير خباز) نحو من خمسين كيلو متراً ومنه الى (الهجرة) أو (المهيجر) مائة وعشرون كيلو متراً ومنه الى (راح) تسعون كيلو متراً وتقع (آبار الملوش) على مقربة منه ٠ ومنه الى (سبع أبيار) مائتا كيلو متر ومنها الى ضمير ستون كيلو متراً ٠

الطريق الثالثة — طريق (الرحبة — دمشق) ٠ لم يذكر المقدمي مراحلها وجاء في مخطوطة استانبول أن مراحلها عشرة ٠٠ يبدأ السفر من الرحبة أي قصبة (ميادين) الحالية الواقعة على الفرات جنوبي دير الزور ومنها الى (آبار الجب) على خمسة وثلاثين كيلو متراً غربي ، جنوبي غربي الرحبة ومنها الى (كلبان الهيل) مائة وخمسة وعشرون كيلو متراً في الاتجاه نفسه ومنها الى (كلبان الأيثانية) وهي ذات مياه كثيرة على مائة كيلو متر من كلبان الهيل ٠ والمسافة منها الى ضمير مائة وستة وثلاثون كيلو متراً لاماء فيها ٠ تقطع هذه الطريق في ثمانية أيام ٠

وهناك طريق آخر بين العراق والشام ، تقطعه القوافل التجارية تبدأ من الأنبار مارة بضفة الفرات اليمنى الى الفراض (أي الصالحية) أو الرحبة (الميادين) ومنها الى السخنة فتدمر فالقريتين فدمشق ٠

وتوجد طريق أخرى توازيها وبعيدة عن ضفة الفرات تبدأ من عين التمر الى (بردان) ثم الى (الحنى) ثم الى (المُصَيَّخ) ، ثم تقطع وادي حوران في (عقلات حوران) ومنها الى (الرنقة) ثم الى (آبار الجب) ثم الى (السخنة) ٠

وثمة طريق أخرى من أقصى الجنوب يربط العراق ببلاد الشام ، تأخذ من الحيرة الى دومة الجندل وتمر بوادي السر (وادي مرحان) وتنتهي ببصرى ٠ وتمر بقسمها الأول بالقادسية و (القرعاء) و (الليفية) و (الحَبَّكة) و (البربكات) و (قليب صوير) و (سكاكة) ثم ينتهي بدومة الجندل وتمر بقسمها الثاني بوادي

السر وقد قطعه المنهزمون في معركة الجمل سنة ست وثلاثين هجرية كما جاء في الطبري نقلاً عن سيف بن عمر [١] وجاء في الرواية :

«أجار عصمة بن أبير التيمي عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابناء الحكم بعد هزيمتهم في وقعة الجمل وقال لهم اختاروا أحب بلد اليكم أبلغكموه ، قالوا الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى اذا أوغلوا في بلاد كلب بدومة (دومة الجندل) قالوا (قد وفيت ذمتك) . ولعلهم مروا بعد البصرة بنقرة السلمان وحبكة حتى وصلوا دومة الجندل ومنها الى بصرى بطريق وادي السر .

ولما تعذر على العراقيين من ضباط وموظفين وغيرهم البقاء في سورية بعد احتلال الجيش الفرنسي لها سنة ١٩٢٠ تركوا دمشق على ظهور الابل واجتازوا البادية من ضمير الى كربلاء ومروا بجفنية لاهة وانتهوا بالأخيضر . وكان سفرهم في شهر حزيران سنة ١٩٢١ .

ذكرنا الطرق التي تربط العراق بالشام ولنبحث الآن عن الطريق التي سار فيها خالد بن الوليد :

أرسل خالد مدداً وعوناً للمسلمين في الشام وطلب اليه أن يسرع في النجدة فكان لزاماً عليه أن يختار الطريق الأقصر والأقل خطراً ، كما أنه كان ينبغي له الا يجازف في طريقه بالمرور بمناطق تسكنها قبائل معادية وأقيمت فيها مسالح للعدو وألا يجهد خيله لأنه بحاجة اليها في مقاتلته للروم في الشام . ويتضح من الروايات ان قبائل بكر بن وائل كانت مع المسلمين وهي تنزل بادية السماوة من طريق (فيد — الأبلة) الى أطراف الحيرة ، ولعل الحيرة وأطرافها كانت في المنطقة الفاصلة بين قبائل تغلب وقبائل بكر ويتضح أيضاً من أخبار الرواة أن قبائل تغلب كانت مناصرة للفرس ومقاتلة للمسلمين . والطرق بين العراق

(١) الطبري ، الجزء الثالث ص (٥٤٠) .

والشام ، من الأنبار الى الشمال الغربي ، تمر جميعها بديار تغلب ، ثم بديار كلب وبهراء . أما الطريق في أقصى الشمال المارة بتدمر فعليه حصون ومسالح ومخافر للروم على الحدود أقامها الروم ضد الفرس وضد غارات البدو . وفي الفراض مثلاً ، وتقع على الحدود ، حصنان واحد للروم في غربي الفرات والثاني للفرس في شرقيه . وفي قرقيسيا قلعة للروم في الضفة اليمنى . ومدينة تدمر ومدينة الرصافة الواقعة الى شمالها ، مدينتان محصنتان بأسوار ، وقد أقيمت الحصون والمخافر على طول الطريق بين تدمر ودمشق ، منها مخافر أمامية على حدود البادية ومنها حصون خلفية أقيمت في القرى والقصبات وعلى أماكن الماء .

ومن الواضح أن خالداً لا يقدم على السير في طريق تقل المياه فيه وقد يستطيع المسافر الواحد أو القافلة المؤلفة من بضعة أشخاص أن تسير في الطرق التي تشح فيها المياه ؛ ولا يتيسر للقافلة الكبيرة ، وفيها خيل ، أن تسير في تلك الطرق ، ان وجد الماء فيها ، ففي محلات متباعدة جداً . ومن هذه الطرق طريق (الرحبة — دمشق) وطريق (هيت — دمشق) وقد بدا من تثبيت موصل لها أن أماكن الماء في هاتين الطريقين متباعدة كثيراً وهي اما بركات أو أحواض طبيعية لا يكون الماء فيها الا في الشتاء ، بعد نزول أمطار غزيرة . وقد تبين لنا ان خالداً قطع الطريق بين العراق والشام بعد انقضاء موسم الشتاء ، وهو على رأس قوة ليست قليلة العدد وفيها الخيل التي لا تحتمل العطش كالإبل .

عدد الرجال الذين سافر بهم خالد :

تضاربت الروايات في تقدير قوة خالد بن الوليد . فروى المدائني ان قوة خالد تتفاوت بين ستمائة وثمانمائة وأيد البلاذري هذه الرواية وجعل قوة خالد تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة . وأكد ابن الاثير ذلك . أما ابن عساكر فقال انها ثلاثة آلاف وجعل ابن كثير قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة . وقد ورد

أن أبا بكر أمر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس • وفي بعض الروايات أن المثنى اعترض على خالد لما رآه يستأثر بالصحابة ويترك له من لم يكن له صحبة ، وقال له والله لا أقيم الا على انفاذ أمر ابي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف [١] وذكر ابن عساكر ان ابابكر كتب الى خالد أن يمضي مخففاً في أهل قوة من الصحابة الذين قدموا معه العراق من اليمامة وصحبوه في الطريق وقدموا عليه من الحجاز [٢] • وذكر ابو يوسف ان خالداً خرج بألفين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم ، فم بفيد ، فخرج معه خمسمائة من طي ومعه مثلهم فانتهى الى شراف ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر [٣] • ويتضح مما ذكره أبو يوسف ان الذين خرجوا من الحجاز ألفان ، ولو فرضنا انه أخذ نصفهم حين سفره من العراق امتثالاً لأمر ابي بكر فيكون قد ذهب الى الشام على رأس الف رجل على أكثر تقدير • لهذا لا عبرة بما ذكره ابن كثير من أن قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة وما ذكره ابن عساكر من أنها ثلاثة آلاف • وقد صرحت الروايات ان خالداً رد الضعفاء والنساء الى المدينة ليمضي مخففاً في أهل قوة •

لهذا نرى ان رواية المدائني التي أيدها البلاذري ونقلها ابن الاثير هي أصح الروايات عن قوة خالد • فقوته اذن كانت بين ستمائة وتسعمائة مجاهد • ومن الطبيعي أن القوة كانت راكبة ، ولا يبعد أن يكون ركاب الإبل ردفاً ، كأن يركب اثنان على جمل واحد • ولعل نسبة الخيل من الإبل كانت تتفاوت بين واحد في العشرة الى الواحد في الخمسة عشر •

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٥) •
(٢) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٣٨) •
(٣) الخراج ، ص (١٦٩) •

مقارنة بين الطرق :

ظهر لنا من الكلام عن الطرق التي تربط العراق بالشام أن الطريقين الأول والثاني اللذين ذكرهما ابن خرداذبة والطرق الثلاثة التي ذكرها المقدسي كانت بأجمعها طرقاً تقطع البادية من الشرق الى الغرب والمياه فيها قليلة ، وهي اما آبار واما غدران او أحواض او جوابي مجمع مياه ، والمسافات بين أماكن الماء بعيدة تقطع في مرحلتين أو في ثلاث مراحل أحياناً . ولا يمكن قطعها بالخيل ويتعذر قطعها بقافلة مؤلفة من عدد كبير من الناس الا في موسم الأمطار الغزيرة . ويبلغ طول الطريق في أقصى الشمال من عين التمر الى دمشق نحواً من ألف كيلو متر ، وهي تجتاز مسالح الروم وقلاعاً وحصوناً ، يضاف الى ذلك أنها تقطع ديار قبيلة تغلب التي ظهر عداؤها للمسلمين بوقوفها في جانب الفرس ومقاتلتها للمسلمين قبل سفر خالد بن الوليد . ولا يوجد في هذه الطريق موقعا قراقر وسوى اللذان اتفقت الروايات على أن خالداً مر بهما أثناء تفويزه في البادية . وقراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء وليس لقبيلة كلب منازل في طريق (الفراض - أرك - تدمر) ، لأن هذه الأماكن واقعة في ديار تغلب . لهذا يصعب الاعتماد على الروايات القائلة إن خالداً مرّ بهذه الدروب ، اذ لا بد له ، في مسيره عليها من مناوشة التغلبيين من جهة ومقاتلة المسالح واضطراره الى محاصرة الحصون والقلاع من جهة أخرى ، وفي ذلك مضيعة للوقت وانهاك لقوته الصغيرة ، فضلاً عن اقتحامه لهذه العقبات جميعها . وقد يتربص له الروم لما ينتهي اليهم من أنباء حركاته ويحولون دون نجدته للمسلمين .

وعلى الرغم من كل ذلك فان دي جويه وكايتاني اعتمدا على الروايات التي تقول إن خالداً مرّ بأرك وتدمر والقريتين وحوارين في طريقه من العراق الى الشام . وكان سبب ذلك عدم المعرفة بموقعي قراقر وسوى . وقد اكتفى جغرافيو العرب

على عادتهم بذكر الروايات عن المواقع من دون أن يثبتوا المحل بالضبط ، فذكروا ان قراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء . وذكر ياقوت في معجمه في مادة قراقر انه ماء لكلب وواد لكلب بالسماوة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل :

لله در رافع أنى اهتدى　　خمساً اذا ما سارها الجيش بكى
ما سارها من قبل أنسي يرى　　فوّز من قراقر الى سوى

وذكر البكري في مادة قراقر انه موضع في ديار كلب واستشهد ببيت نسبه الى خالد:

ضل ضلال رافع أنى اهتدى　　فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما ساره الجيش بكى

وبدل بيت قاله حكيم ان قراقر بشق الشام والبيت كما يلي :

وان بنية قد ناؤنا بدارهم　　بحوران أدنى دارهم فقراقر

وقد استند كايتاني في بحثه (١) الى الرواة من جماعة المدينة كالواقدي والمدائني واعتبر رواية ابن اسحق ناقصة . أما روايات سيف بن عمر وهو من جماعة الكوفة فلم يلتفت اليها . وكايتاني لا يعتمد كثيراً على سيف ويعتبر ما جاء في رواياته من نسج الخيال ولكن الاعتماد على روايات المدائني والواقدي في هذا الصدد من دون تمحيصها ، تظهر لنا ان خالداً ورجاله يخبطون خبط عشواء ويضربون في أرض البادية ويسيرون في اتجاهات متخالفة ، بينما اخوانهم في الشام ينتظرون وصولهم .

---

(١) لم نطلع على ما كتبه كايتاني عن رحلة خالد من العراق الى الشام لأن الجزء الثاني من مجلده الثاني من حوليات الاسلام نفد . والنسخ في مكتبة وزارة الدفاع العراقية ومكتبة دائرة الآثار ناقصة ، لا تحتوي على المجلدين الأول والثاني . وكان الكاتب التركي حسين جاهد بالشين قد ترجم المجلد الأول والجزء الأول للمجلد الثاني ونشر ترجمته في عشرة أجزاء . لهذا ظل الجزء الثاني المجلد الأول بعيداً عن متناول اليد في خزائن بغداد والذي أدرجناه في بحثنا هذا من آراء كايتاني اقتبسناه من كتاب « الويس موسل – The Arabia Dezerta » نقلا عن ملحقه الباحث عن سفر خالد من العراق الى الشام وهو بحث قيم أماط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وثبت الطريق الذي سلكه خالد

فالواقدي[1] جعل خالداً بعد وصوله الى سوى يخرج الى الكوائل ثم يأتي قرقيسيا ، ثم أرك ، ثم دومة الجندل فيفتحها ، ثم يأتي قصم فيصالحه أهلها ثم يبلغ حوارين فيظفر بأهلها أو يسبي ويغنم الى أن يغير على بني غسان في مرج راهط في عيد فصحهم . فخبر الواقدي هذا يدل على أنه كان يجهل جغرافية البلاد ، لهذا اعتمد على الروايات وحشرها حشراً من دون أن يتأكد من موضع الأماكن التي ذكرها .

رأى المدائني[2] أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالتوجه الى الشام ، قد ذهب من الحيرة لمحاربة العدو في صندوداء ، ثم يقاتل جموع تغلب في المُصيخ والحصيد ، ثم يفوز من قراقر الى سوى ، ثم يأتي أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم ويقاتل أهلها ويظفر بهم حتى يغير على الغسانيين . والرواية هذه تتفق تماماً مع رواية الواقدي في أعمال خالد من سوى الى مرج راهط .

وقد ذكر ابو يوسف[3] ان خالداً بعد أن توجه من عين التمر وقطع المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى المُضَيَّب والكوائل ثم مر بعانات حتى أتى قرقيسيا وانتهى بعد ذلك الى دمشق . ومن الغريب ان كايتاني الذي يعتبر ابن اسحق من أوثق الرواة أهمل روايته عن سفر خالد ولم يلتفت اليها . ولعل رواية ابن اسحق على قصرها أصدق رواية عن سفر خالد وهي أقدم رواية وصفت كيف استعد خالد في قراقر لاجتياز المفازة الى سوى ودبر أمر الماء . وقد رواها بعده سيف بن عمر والهيثم بن عدي .وأشار اليها البلاذري باختصار . ولم تشر رواية ابن اسحق الى أن خالداً مرّ بأرك وتدمر وحوارين . انما جعلت وجهته بعد سوى مرج راهط . وقال ان الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت به المياه حتى أغار على مرج راهط كما جاء في تاريخ ابن عساكر .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١١٩) .
(٢) الطبري الجزء الثاني ص (٦٠١) .
(٣) الخراج ص ١٦٩ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعمل الوحيد الذي قام به خالد في طريقه ، هو فتحه لعين التمر ، خلافاً لما ذكره أبو يوسف والمدائني والواقدي من فتوح . ولم يذكر ابن اسحق في روايته ، المراحل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر مما يدل على انه لم يحدث شيء غير اعتيادي في هذه الطريق وانه سلك طريق القوافل ذات المياه .

وجرى سيف بن عمر على عادته فأسهب في روايته ولم يشر الى الفتح الذي تم لخالد في سفره وجعل طريقه من الحيرة الى دومة الجندل ومنها الى قراقر فسوى فمرج راهط وقدم أخبار الفتوح التي وردت في الروايات الأخرى على سفر خالد ، فذكر فتح عين التمر والقتال في الحصيد والمصيخ والفراض والبشر قبل ذهاب خالد الى الحج في آخر سنة ١٢ هجرية وقبل استلامه كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام أوائل سنة ١٣ هجرية . لقد نبه سيف في روايته الى السبب الذي دعا خالداً الى أن يغوّز من قراقر الى سوى وأوضح السبب الذي حدا بخالد على المجازفة في التغويز برجاله رغم الأخطار التي ذكرها دليله رافع . سأل خالد رافعاً : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين » ، هكذا يظهر ان خالداً اجتاز المفازة رغم وجود طريق أمين لأنه أراد ألاّ يقف الروم بوجهه فيمنعونه من نجدة المسلمين في الشام .

واعتمد « دي جويه » بعد أن ناقش الروايات على الرواية التي رواها ابن اسحق وأكمل نقصها بروايات المدائني والبلاذري وزيّف رواية الواقدي التي جعلت مراحل الكواثل وقرقيسيا بعد سوى وضعّف أيضاً رواية أبي يوسف التي جعلت خالداً بعد قطعه البادية يمر بعانات والنقيب والكواثل وقرقيسيا وقال [1] :

« ذكر (هانبرج) ان خالداً بسفره من الأنبار وعين التمر كان يستطيع بعد بضع مراحل ان يصل الى تدمر ماراً بأرض خصبة مزروعة . ولكنني أعارضه في ذلك ، لأنه كان ينبغي لخالد أن يسلك طريق الفرات للوصول

(١) مذكرة عن فتح الشام ص (٤٤) .

الى الطريق العام ، وبذلك يدور دورة كبيرة ، ناهيك بالأخطار التي تعرض لقوته الصغيرة باجتيازها أرض العدو . ويرى هانبرج ان المنازل أرك وتدمر .. الخ لا يمكن ان تكون على الطريق التي قطعها خالد والتي جعلها في حوران الشرقية على سيف البادية . ولا شك في أن خالداً كان في مكنته بعد ارتحاله من سوى ان يقصد الى الجنوب الغربي ويذهب رأساً الى عمان . بيد أن أكثر الروايات قالت ان خالداً توجه الى الشمال الغربي ونحو أرك . ولا يذكر ابن اسحق أرك وتدمر ولكنه يذكر مرج راهط . ولا تستند فرضية هانبرج الى أساس تاريخي وتضطرنا الى القول بأن خالداً بعد بلوغه بصرى ، لا يسرع للاجتماع بالقادة الذين كانوا ينتظرونه ولكنه يقوم بغزوه نحو تدمر وهذا لا يعقل .

واذا علمنا ان نصف الطريق الثاني التي سار فيها خالد تمر بأرك وبتدمر والقريتين وحوارين ومرج راهط وان بدأ حركته من عين التمر يتعذر علينا الاعتراف بعض الشيء بالقول ان خالداً غامر فاجتاز البادية للوصول الى الطريق العام لبلوغ دمشق من شمالي الجزيرة . ان الاتجاه الذي اتخذه على هذه الصورة يؤدي الى الشمال الغربي . لهذا يلوح لنا بأنه بعد تركه عين التمر تقدم نحو قراقر وفوز منها الى سوى ثم سار الى أرك . . . .

حتى اذا وصل خالد في أرك الى الطريق العام مكث قليلاً في تدمر وبعد مدة قصيرة بلغ القريتين ثم الى حوارين فالتقى لأول مرة بقوات انهالت عليه من بصرى وبعلبك تقاومه أعنف مقاومة . . . .

ولما اجتاز خالد المضيق الشهير الواقع على طريق (دمشق — حمص) وقف برهة فوق الرابية المطلة على المضيق . . . . التي سميت بثنية العقاب ، ثم تقدم جاعلاً دمشق على يمينه وباغت الغسانيين في مرج راهط في يوم الفصح ....» .

فلذا ان ما دعا المؤرخين الغربيين الى تصديق أخبار فتوح خالد في طريقه الى الشام واقرار الروايات القائلة انه دخل الشام من طريق تدمر ، هو جهلهم موضع قراقر وسوى .

قراقر وسوى :

ومع ان ابن اسحق وابا يوسف جعلا المفازة بين قراقر وسوى بعد عين التمر وأن سيف بن عمر وعقبة ذكرا ان المفازة بعد دومة الجندل وان الهيثم بن عدي قال ان خالداً مرَّ بالسماوة حتى انتهى الى قراقر ففوز منها وان اللالطائي (ابن عساكر) جعل المفازة قبل وصول خالد الى ضمير وعلى الرغم من كل ذلك فان كايتاني استند الى ما كتبه الرائد بيترس الذي زعم أن قرية (سُوه) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى هي سوى التي مر بها خالد . ولكن موسل ذكر ان اسم القرية المذكورة (السَّوِيَّة) لا (سُوه) وهي قريبة من البوكمال . ويتضح مما كتبه موسل (١) ان كايتاني اعتمد على ما أورده اليعقوبي من ان خالداً ذهب الى الأنبار بعد أخذ أمر أبي بكر وأخذ دليلاً منها وقال ان الأنبار قد تكون قراقر لأنها على نهر الفرات ولأن خالداً أخذ الدليل منها . . . . ولا حاجة للاشارة الى تفاهة هذا الاستنتاج . واذا كانت الأنبار رأس المفازة بين قراقر وسوى فينبغي أن تكون المفازة على ضفة الفرات اليمنى على حين لا طريق القوافل المارة بالفرات ولا الطريق التي توازيه غرباً هي طريق مفازات ، لأن الأول يمر بجانب الفرات والثاني قريباً منه وفيه مياه ، فضلاً عن أن المؤرخين والجغرافيين قالوا ان قراقر ماء لكلب وديار كلب بعيدة عن الفرات وان الطريقين المذكورتين تمران بديار تغلب . وقد أجمعت الروايات على أن خالداً في سفره من العراق اجتاز مفازة بين قراقر وسوى وصرحت بعض الروايات ان طول المفازة خمس ليال وجعل اليعقوبي المفازة بين الأنبار وتدمر وقال ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام وقد ذكرت بعض الروايات ان خالداً فوز قبل وصوله دومة الجندل ومن الروايات ما جعل المفازة في حجة خالد من الفراض الى مكة .

وقد استند كايتاني الى رواية المدائني التي جاء فيها أن خالداً بعد أن فوز

(١) Arabia Dezerta ص (٣٠٢) .

من قراقر الى سوى أتى أرك وتدمر ثم بلغ القريتين ... الخ استند الى هذه الرواية وقال ينبغي البحث عن موضع سوى في جوار أرك وزعم أن سوى هي قرية السخنة وبذلك فتش على المفازة بين نهر الفرات والسخنة أي في سلسلة البشرى الممتدة من ضفة الفرات اليمنى الى شمالي شرقي السخنة . ولكن موسل اعترض على رأي كايتاني هذا وقال ان الطريق بين الفرات والسخنة من سلسلة البشرى قصير ، يقطع في يومين أو ثلاثة ، لا في خمس ليال كما جاء في الروايات ثم ان المياه فيه كثيرة .

هكذا يتضح للقارئ ان سبب كل هذا الاختلاف جهل محل قراقر وسوى . ومن نظروا في الخرائط لم يعثروا على هذين الاسمين لأن الخرائط المتيسرة يومئذ لم تعرض لهما لبعد موضعهما عن المناطق الكثيرة القرى ولم يتسن للرواد أن يروا بها فيثبتوهما في الخريطة . وكان أول وآخر من ثبت هذين الاسمين في الخريطة الرائد الشكوسلوفاكي (ألويس موسل) الذي قطع قبل الحرب العظمى الاولى وفي أثنائها بادية الشام وشمالي جزيرة العرب . وثبت الأسماء التاريخية القديمة ورسمها على الخريطة ومر بقراقر وما يزال البدو يسمونها قراقر بفتح أوله وبلهجتهم وهو معروف لديهم باسم (كلبان قراقر) . وقد صورها موسل (١) وكلمة (كلبان) جمع كليب (قليب) البئر . وذكر ان الآبار فيها أكثر من عشرين بئراً تقع جميعها في الطرف الشمالي الشرقي لحوض المياه بين الجبلين الأسودين (المَحاط) (ودَبْدَة) وعمق بعض الآبار ثلاثون سنتمتراً (؟) وعمق الأخرى ثمانون سنتمتراً وتقع قراقر شمالي شرقي الجوف (دومة الجندل) على بعد مائتين وثلاثين كيلومتراً وشرقي ، جنوبي شرقي قرية (كاف) في وادي السرحان ، في المحل الذي تنعطف فيه حرّة الشامة من الشمال الى الجنوب الشرقي وعلى شرقي الطريق المار بوادي السرحان بين دومة الجندل وبصرى وفي الحافة الشرقية لهذا الوادي الذي كان العرب يسمونه (بطن السر) وسبب هذه التسمية ان الوادي عريض ، عبارة عن قاع بين هضبتين . وتقع قراقر على بعد خمسمائة كيلومتر جنوبي غربي عين التمر .

(١) وجاء رسمها في ص ١٠١ من كتابه (البادية العربية) Arabia Dezerta ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما موقع سوى فقد قال موسل انه في (سبع بيار) على طريق السيارات بين بغداد ودمشق شرقي ضمير على مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً . والآبار في وادٍ قليل الغور ، تجف مياهها اذا استمر الجفاف عدة سنوات وهي تقع في سهل متموج ، من الصعب الاهتداء واليه . ويعرف موقع سبع أبيار بمرتفعين طبيعيين فوقها رجم . وقال موسل ان البدو يسمونه (سوى) بسكون أوله وأضاف موسل : انه لا يوجد ماء بين قراقر وسوى (١) .

أما وقد اهتدينا الى موقعي قراقر وسوى بالاعتماد الى ما حققه المستشرق موسل وما أكده شاهد عيان وما جاء في خريطة Persian Gulf طبع وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩٢٤ بمقياس واحد على أربعة ملايين فقد تيسر علينا تمحيص الروايات وتفضيل بعضها على بعض .

(يتبع) طه الهاشمي

---

(١) ويبدو ان موقع قراقر يعرفه البدو ولا يحتاج كشفه الى كبير عناء ولو سئل الادلاء من العقيل وغيرهم الذين يرافقون القوافل بين الشام والعراق والشام ونجد لتيسر معرفته ، لأنه على ملتقى الطرق وفيه مياه غزيرة سهلة المنال . وقد سألنا الشيخ عبد العزيز العقيلي الموظف في المفوضية السعودية في بغداد ، وقد طاف كثيراً في البادية دليلاً وساعياً وتاجراً ، عن قراقر فما ان ذكرنا له اسمها حتى قال انها بين سبع أبيار والجوف بين رابيتين ، الغربية منها سوداء ، مفتولة الرأس تسمى (مخاط) والرابية القريبة تسمى (الزُّبَيدة) . وقراقر كثيرة الآبار ، والماء قريب من سطح الأرض لا ينضب . وذكر المراحل بين قراقر وسبع أبيار وهي ست ويصفها بأنها مرحلات خفاف . وأكد بأن علامة سبع أبيار رجمان أي كوسان من الحجارة وللمنازل (أذنه) أي أم أذن و (كثب الشامة) وهي كثبان رملية و (تل الهبر) و (الخويمات) و (غراب الحدالي) ، ثم سبع أبيار. لم يعرف عبد العزيز اسم سوى . والمنازل تلك مسجلة في الخريطة التي رسمها موسل .

وذكر الشيخ عبد العزيز الرمانتين اللتين ورد ذكرهما في الروايات وقال انهما رابيتان متقابلتان على شكل القبة يقعان بين قراقر وسبع أبيار بعد أرض الحرّة . اذن كان بالامكان معرفة موقع قراقر كما تم لنا . ولكن لم يتسن للباحثين معرفة هذا المحل الا بعد أن جال الرائد التشكوسلوفاكي موسل في البادية برفقة جماعة من عشيرة الرولة . المؤلف

شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٣ -

علاوة ثانية

في اختيارات شيخ الاسلام

اشتهر شيخ الاسلام ابن تيمية بمسائل أثرت عنه ، وظن كثير من الناس أنه انفرد بها عن غيره ، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع ، وهي أمور اجتهادية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء . ومن المفروغ منه أن ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية ، وأنه كان يفتي الناس بما أدى اليه اجتهاده ، وانه موافق في فتاواه بعض الصحابة أو التابعين أو أحد أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم ، ممن عاصرهم أو جاء قبلهم أو بعدهم ، وقد قال العلامة برهان الدين ابن الامام محمد المعروف بابن قيم الجوزية : لا نعرف له مسألة خرق فيها الاجماع ، ومن ادعى ذلك فهو إما جاهل وإما كاذب ، ولكن ما نسب اليه الانفراد به ينقسم الى أربعة أقسام ، (الاول) : ما يستغرب جداً فينسب اليه أنه خالف فيه الإجماع ، لندور القائل به وخفائه على الناس ، لحكاية بعضهم الإجماع على خلافه . (الثاني) : ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وقال به بعض الصحابة أو التابعين أو السلف ، والخلاف فيه محكي . (الثالث) : ما اشتهرت نسبته اليه مما هو خارج عن مذهب الامام رضي الله عنه ، لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم . (الرابع) ما أفتى به واختاره مما هو خلاف المشهور في مذهب احمد ، وإن كان محكياً عنه وعن بعض أصحابه .

وقد ذكر برهان الدين اختيارات شيخ الاسلام في هذه الأقسام الأربعة، فالقسم الأول عدّ منه في الطلاق عشر مسائل، وعدّ منه في غير الطلاق، تسعاً وعشرين مسألة. ومن مسائل القسم الثاني سبع عشرة مسألة. ومن الثالث ست عشرة، ومن الرابع ستاً وعشرين. وتجد هذه المسائل في مجموع يشتمل على رسالتين (الأولى): في مذهب الإمام داود الظاهري، جمعها الأستاذ الشيخ محمد الشطي (والثانية): في مسائل شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع العلامة برهان الدين المتقدم. وفي الكواكب الدرية (من مجموع الردّ الوافر المطبوع بمصر ١٣٢٩) شذرة من هذه الاختيارات ومعها ذكر من اختارها من أئمة السلف (من ص ١٨٤).

وأهم هذه الأقوال التي اشتدّ فيها النزاع، وادعى خصوم الشيخ أنه خرق بها الإجماع، ثلاث مسائل فيما نراه: الطلاق، والوسيلة، وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة المفضّلة حرم مكة، والمدينة، والمسجد الأقصى؛ ولنا في هذه القضايا الثلاث كلمات ثلاث أختم بها هذه العلاوة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(قضية الطلاق)

الطلاق في الاسلام لا يكون إلاّ عن ضرورة وبصيرة، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائهما على الحياة الزوجية، لموانع جسمية أو نفسية، خَلقية أو خُلقية، تجعل صفو العيش كدراً، وتعرّض النسل للمهانة والشقاء، فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة، والزوجان سعيدان به لا شقيان، «وإن يتفرقا يُغنِ الله كلاًّ من سَعته» وآية ذلك أن يكون الزوج في حال الطلاق عاقلاً مختاراً، وأن تكون الزوجة راضية مطمئنة، فيمتعها متاعاً حسناً ويفارقها باحسان. أما اذا لم يكن موجب للفراق، فليس له أن يضارها بالطلاق، وعليه أن يذكر قول العليم الحكيم: «فإن أطعنكم فلا تبغوا

عليهن سبيلاً » فهذا ضمان وأمان لها من الله تعالى طول حياتها عنده ، مادامت قائمة بواجبها . أما طلاق الغضبان والسكران ، والطلاق من أجل قضية أجنبية لا علاقة للزوجة بها ، فهو طلاق الظالمين لأنفسهم ولأزواجهم ، وسيأتي حكمه .

وقد ذكر شيخنا القاسمي رحمه الله آداب التطليق المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، في رسالته التي سماها « الاستئناس ، لتصحيح أنكحة الناس » فعدّ منها عشرة آداب (الأول) : هو رعاية المصلحة في ايقاعه ، بعد التروي والتحاكم . (الثاني) : إيقاعه في حال الخوف من عدم إقامة حدود الله . (الثالث) : أن لا يكون القصد بإيقاع الطلاق مضارّة الزوجة . (الرابع) : أن يطلق لداع لا يتأتى معه اتخاذها زوجة . (الخامس) : أن لا يطلق ثلاثاً دفعةً واحدة . (السادس) : أن يشهد على الطلاق . (السابع) : أن لا يكون في حالة الغضب . (الثامن) : أن ينوي الطلاق ، لحديث « إنما الأعمال بالنيات » . (التاسع) : أن يكون التطليق مأذوناً فيه من جهة الشارع . (العاشر) : التطليق بإحسان ، لا بإساءة ولا بفحش من الكلام ، ولا بغي ولا عدوان » .

هذه الجمل القصيرة كالعناوين لهذه الآداب العشرة التي شرحها أستاذنا في رسالته ، ثم قال : فأمر تعالى المطلّقين إذا طلقوا الطلاق المأذون فيه ـ وهو المستوفي شروطه ـ أن يسرّحوا نساءهم راضيات عنهم ، داعيات لهم ، ذاكرات لجميلهم ومعروفهم وإحسانهم ؛ وذلك بأن يحسنوا اليهن بما يتمتعن به على قدر اليسر والعسر ، وأكد ذلك أيضاً بقوله : « متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين » فجعل ذلك حقاً لازماً على الذي يحسنون الى أنفسهم في المسارعة الى طاعة الله فيما ألزمهم به ، وأدائهم ما كلفهم من فرائضه ، ويحسنون الى المطلقات بالتمتيع على الوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة ، وختم البحث بهذه الكلمة الواعظة : تالله إن القلب يتفطر ألماً ، والعين تدمع دماً ، على ما أصبحوا فيه من الجهل ، ولا من سائق لهم الى الفقه والعلم ، حتى أصبحت محاكم القضاة تياراً لأمواج شكاية المظلومات ،

وميداناً لجولان دعاوي الزوجات ، (و) حتى صار المسلمون بسببهم في الطلاق ، وهضم حقوق الأزواج عاراً على الإسلام ، وفتنة لسواهم من الأقوام ، «ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الرحيم» .

والحاصل ان مسألة الطلاق كمسألة تعدد الزوجات ، شرعت للحاجة اليها، ولها شروط وقيود ، تثبت نفعها وتمنع ضررها .

الطلاق عند الأجانب

أما الطلاق في أوربا وأميركا فالظاهر أنه لا يكون إلا لأسباب تقع بين الزوجين خاصة ، ولكنهم يطلقون لأهون الأسباب وأيسرها ، كقصّ الشعر ، وحلق اللحية ، ولباس السهرة ونحو ذلك ، ولذلك كثر عندهم كثرة هائلة ، وهو طلاق باعثه السآمة والملل ، وحب التنقل ، وله عواقب وخيمة ، ومنها ضياع النسل . وقد نشرت جريدة الأهرام (أول سنة ١٣٥٤هـ و سنة ١٩٣٥ م) اعتقاداً للقاضي لندسي أشهر قضاة الطلاق في لوس انجلوس في ولاية (كاليفورنية) خلاصته أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم (أميركا الشمالية) وتحل محلها الإباحة والفوضى في العلاقة ما بين النساء والرجال في زمن قريب ؛ وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب خلافاً لهداية جميع الأديان، إذ لا دين ولا حب يربطها ، بل الشهوات والتنقل في وسائل المسرات اهـ .

ومن غريب الاتفاق أني قرأت في صحيفة دمشقية صدرت اليوم (١٣٧١/٧/٢٢ و ١٩٥٢/٤/١٦) كلمة عن الطلاق عند الأميركيين وأسبابه ، يتبين منها أن نزول المرأة الأميركيه - فتاةً ومتزوجة - إلى ميدان العمل الخارجي هو الذي أثارها على طبيعتها وشريعتها ، ودعاها الى كراهية البيوت والأزواج والأولاد!!! فقد «زادت نسبة النساء العاملات في السنوات الأخيرة بمقدار (٥٠) في المئة ، في حين أن الرجال لم يزيدوا الا بمقدار (٢٠) في المئة . ومما يدل على أن

المرأة الأميركية تفوق جميع نساء العالم نفوذاً انتشار الطلاق في أميركا، والمشاهد أنه كلما قوي نفوذ المرأة كثر الطلاق، لأن قدرة المرأة على الاستقلال بنفسها استقلالاً مادياً وأدبياً يهون عليها أمر الفراق عن زوجها، ولهذا نجد أن نسبة الطلاق في أميركا ثمانية أمثالها في بريطانيا، كما نجد أن (٧٠) في المئة من حالات الطلاق تقع بناءً على طلب الزوجات لا على طلب الأزواج، وقلما تجد الآن فتاة أميركية ترضى أن تكون ربة بيت فقط، بل كل فتاة تريد أن تعمل وأن تكسب كالشباب، وبعد الزواج ترفض المرأة أن تبقى في بيتها !!

قلت: سبب هذا الانحلال الخُلُقي، والتدهور الاجتماعي هو تخلي الرجال عن النساء، بل دفعهن في تيار العمل واللهو خارج المنزل، فاختل نظام البيوت، وتقوضت دعائم الأسرة، وهذا هو الذي يقلدهم فيه من بلاد الشرق عبيد الشهوات، حتى تتعطل الحياة المنزلية، وتقفر البيوت من أهلها:

اذا لم تكن في منزل المرء حرة مدبرة ضاعت مصالح داره

الطلاق في الاسلام

وبعد فلشيخ الاسلام في الطلاق الشرعي والبدعي كلام يطول، ولشرحه في كتب ابن القيم حواشٍ وذيول، وحسبنا أن نشير الى مراجعه فهي مطبوعة متداولة، وفيها من حقائق التنزيل والتأويل، ما يضمن سلامة الأُسَر، بل سعادة البشر، لو رعوا هذه النصوص حق رعايتها، ولم يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالاً، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهةً ولا مقالاً، بل اوردت جميع مقالاتهم واتت عليها نقضاً وإبطالاً. وإنك لتجد هذه المباحث السابغة والحجج البالغة، في الجزأين الثالث والرابع من فتاوى شيخ الاسلام، والاغاثتين الكبرى والصغرى لتلميذه ابن القيم، وله أيضاً سبح طويل في كتابه «زاد المعاد» وفي تهذيبه «لسنن ابي داود» واليك نبذاً قصيرةً منها كلها:

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

قال شيخ الإسلام في فتاويه [١] : إن الأصل بقاء النكاح ، ولا يقوم دليل شرعي على زواله بالطلاق المحرّم ، بل النصوص والأصول تقتضي خلاف ذلك ، ولو غلّظ الأيمان التي شرع الله فيها الكفّارة بما غلّظ ، ولو قصد أن لا يحنث فيها بحال ، فذلك لا يغير شرع الله ، وأيمان الحالفين ، لا تغيّر شرع الدين .

وقال ص ٣١ : « والمرأة اذا أبغضت الرجل كان لها أن تفتدي نفسها منه وهذا الخلع تبين به المرأة ، فلا يحل له أن يتزوجها بعد إلا برضاها ، وليس هو كالطلاق المجرد ... إنّ الخلع هو الفرقة بعوض ، فمتى فارقها بعوض فهي مفتدية لنفسها به ، وهو خالع لها بأي لفظ كان .... وذلك أن الاعتبار بمقاصد العقود وحقائقها لا باللفظ وحده ، فما كان خلعاً فهو خلع بأي لفظ كان ، وما كان طلاقاً فهو طلاق بأي لفظ كان ، وما كان يميناً فهو يمين ، وما كان إيلاءً فهو إيلاء ، وما كان ظهاراً فهو ظهار ، والله تعالى ذكر في كتابه الطلاق واليمين والظهار والإيلاء والافتداء وهو الخلع ، وجعل لكل واحد حكماً ، فيجب أن نعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ، وندخل في الطلاق ما كان طلاقاً ، وفي اليمين ما كان يميناً اهـ باختصار .

وفي ص ٣٣ : « إن كتاب الله يبين أن الطلاق بعد الدخول لا يكون إلا رجعياً ، وليس في كتاب الله طلاق بائن إلا قبل الدخول » .

ولو قال : أنتِ عليَّ كظهر أمي وقصد به الطلاق ، فإن هذا لا يقع به الطلاق عند عامة العلماء ، وفي ذلك أنزل الله القرآن فإنهم كانوا يعدّون الظهار طلاقاً ، والإيلاء طلاقاً ، فرفع الله ذلك كله ، وجعل في الظهار الكفارة الكبرى [٢] وجعل الإيلاء يميناً يتربص فيها الرجل أربعة أشهر ، فإما أن يمسك

---

(١) ج ٣/٢٧ طبع مصر .

(٢) « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ... فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » . الآيتان (٢ و ٣) من سورة المجادلة

بمعروف أو يسرّح بإحسان ، وكل يمين يحلف عليها المسلمون من أيمانهم ففيها كفارة يمين[1] ، كما دل عليه الكتاب والسنة .

وفي ص ٢٤٦ من «زاد المعاد» : وأجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي أذن الله فيه وأباحه ، إذا كان من مكلف مختار ، عالم بمدلول اللفظ ، قاصد له . واختلفوا في وقوع المحرّم من ذلك . . . ونحن نذكر المسألتين تحريراً وتقريراً ، كما ذكرناهما تصويرا .

وفيه : إن رسول الله (ﷺ) أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً ، فقام غضبان ثم قال : أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ وإسناده على شرط مسلم . اهـ .

قال البخاري في صحيحه : باب الطلاق في الإغلاق والسكران والمجنون وأمرهما ، والغلط ، والنسيان في الطلاق والشك لقول النبي (ﷺ) : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» ـ إلى قوله : وقال عثمان : ليس لمجنون ولا سكران طلاق . وقال ابن عباس : طلاق السكران والمستكره ليس بجائز اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وذهب الى عدم وقوع طلاق السكران أيضاً ـ كعثمان ـ أبو الشعثاء ، وعطاء ، وطاووس ، وعكرمة ، والقاسم ، وعمر بن عبد العزيز ، وذكره ابن أبي شيبة عنهم بأسانيد صحيحة ؛ وبه قال ربيعة والليث واسحق والمزني ، واختاره الطحاوي .

وفي «أعلام الموقعين ج : ٣/٣٣٢» ـ بعد أن ذكر من ذهب الى القول بعدم نفوذ طلاق السكران من الحنفية والشافعية ـ قال : والصحيح أنه لاعبرة بأقواله من طلاق ولا عتاق ولا بيع ولا هبة ولا وقف ولا إسلام ولا ردّة ولا إقرار ، لبضعة عشر دليلاً ، ثم فصل القول في ذلك كله تفصيلاً .

---

(١) «فكفارته إطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام» . الآية (٨٩) من سورة المائدة

ومن «زاد المعاد [١]» : «وأما طلاق الإغلاق ، فقد قال الإمام احمد في رواية حنبل : وحديث عائشة رضي الله عنها : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طلاق ولا عتاق في إغلاق . يعني الغضب ، قال شيخنا ـ يعني ابن تيمية ـ : وحقيقة الإغلاق أن يغلق على الرجل قلبه فلا يقصد الكلام أو لا يعلم به كأنه انغلق عليه قصده وإرادته اهـ . قلت : قال أبو العباس المبرد : الغلق ضيق الصدر وقلة الصبر بحيث لا يجد له مخلصاً . (قال شيخنا) : ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ، ومن زال عقله بسكر أو غضب ، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال . اهـ .

وفي «أعلام الموقعين» [٢] :

المخرج الأول : أن يكون المطلق أو الحالف زائل العقل إما بجنون أو إغماء ، أو شرب دواء ، أو وسوسة ، وهذا المخرج مجمع عليه بين الأمة . اهـ باختصار قليل .

ثم قال : المخرج الخامس : أن يفعل المحلوف عليه ذاهلاً ، أو ناسياً ، أو مخطئاً ، أو جاهلاً ، أو مكرهاً ، أو متأولاً ، أو معتقداً أنه لا يحنث به تقليداً لمن أفتاه بذلك ، أو مغلوباً على عقله ، أو ظناً منه أن امرأته طلقت ، فيفعل المحلوف عليه بناء على أن المرأة أجنبية ، فلا يؤثر فعل المحلوف عليه في طلاقها شيئاً . اهـ .

وفي فتاوى شيخ الإسلام [٣] : ولا يقع طلاق المكره ، والإكراه يحصل إما بالتهديد أو بأن يغلب على ظنه أنه يضره في نفسه أو ماله » . وفي ص ١٥٢ : ومن حلف بالطلاق كاذباً يعلم كذب نفسه لا تطلق زوجته ولا يلزمه كفارة يمين » .

وقال أيضاً : ومن علق الطلاق على شرط أو التزمه لا يقصد بذلك الا الحض أو المنع فإنه يجزئه فيه كفارة يمين إن حنث .

---

(١) ص ٢٤٤ . (٢) طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ج ٣٣١/٣
(٣) ج ١٠١/٤ .

وفي ص ١١٢ ج ٤ : ولو حلف بالثلاث فقال : الطلاق يلزمني ثلاثاً لأفعلن كذا ، فكأن طائفة من السلف والخلف من أصحاب مالك واحمد بن حنبل وداود وغيرهم يفتون بأنه لا يقع به الثلاث ، لكن منهم من يوقع به واحدة ، وهذا منقول عن الصحابة والتابعين ، وغيرهم في التنجيز فضلاً عن التعليق واليمين . وهذا قول من اتبعهم على ذلك من أصحاب مالك وأحمد وداود في التنجيز والتعليق والحلف .

وفي ص ١١٦ : الثاني صيغة قسم كقوله : الطلاق يلزمني لأفعلنّ كذا ، أو لا أفعل كذا ، فهذا يمين باتفاق أهل اللغة ، واتفاق طوائف الفقهاء ، واتفاق العامة ، واتفاق أهل الأرض اه .

المطلقة

وبعد فهذه مقتطفات من قصيدة (المطلقة) للشاعر الشهير الرصافي في الانتصار لمذهب ابن القيم وشيخه عليهما الرحمة والرضوان ، وقد نشرت في آخر « إغاثة اللفهان في حكم طلاق الغضبان » ومطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب ... فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود ... من الخفرات آنسة عَروب

ومنها :

حليلة طيب الأعراق زالت ... به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم تر قط منه ... ولم ير قط منها ما يريب

ومنها :

فغاضب زوجها الخلطاء يوماً ... بأمر للخلاف به نشوب
فأقسم بالطلاق لهم يميناً ... وتلك ألية خطأ وحُوب
وطلقها على جهل ثلاثاً ـ ... كذلك يجهل الرجل الغضوب

وأفتى بالطلاق طلاق بتٍ ذوو فتيا تعصبهم عصيب
فبانت منه لم تأت الدنايا ولم يعلق بها الذام المعيب
فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يا نجيب صرمت حبلي ؟ وهل أذنبت عندك يا نجيب ؟

ومنها :

فأطرق رأسه خجلاً وأغضى وقال ودمع عينيه سكوب
نجيبة أقصري عني فإني كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوب

وقد ختمها بقوله :

ألا قل في الطلاق لموقعيه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلواً يضيق ببعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيراً وأنتم من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمتكم كروب لكم فيهن لا لهم الذنوب
وهى حبل الزواج ورق حتى يكاد إذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس أدلت به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الأفواه نفث ويقطعه من النسم الهبوب

* * *

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي اعلامه للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا في ما أتاه طريق علم نحاها شيخه الحبر الأديب (١)
وبيّن حكم دين الله لكن من الغالين لم تعه القلوب
لعل الله يحدث بعد أمراً لنا فيخيب منهم من يخيب

---

(١) هو شيخ الاسلام ابن تيمية .

والمقصود – كما يقول ابن القيم – أن الناس لا بد لهم في باب الطلاق من أحد ثلاثة أبواب يدخلون منها (أحدها) باب العلم والاعتدال الذي بعث الله به رسوله (ﷺ) وشرعه للأمة رحمة بهم ، وإحساناً اليهم ، (والثاني) باب الآصار والأغلال الذي فيه من العسر والشدة والمشقة ما فيه (والثالث) باب المكر والاحتيال الذي فيه من الخداع والتحيل والتلاعب بحدود الله تعالى ، واتخاذ آياته هزواً ما فيه ، ولكل باب من المطلقين وغيرهم جزء مقسوم .

رجوع المحاكم المصرية الى الطلاق الشرعي

قال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في مناره : وأطال ابن القيم في تخريج أحاديث الباب والكلام عليها ، وأثبته بالكتاب والسنة واللغة والعرف وعمل أكثر الصحابة (ثم قال) :

واقترح بعض الفقهاء والعقلاء على حكومتنا المصرية الرجوع فيها الى أصل الكتاب والسنة الذي كان أول من بسط دلائله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتبه اعلام الموقعين ، واغاثة اللهفان ، وزاد المعاد ، ووافقهما وأيدهما من أعلام السنة وفقهاء الحديث بعدهما الإمام الشوكاني والسيد حسن صديق ، وصاحبا شرح سنن أبي داود وحاشية سنن الدارقطني من متأخري علماء الهند الأعلام[1] .

ونقف عند هذا الحد من الكلام في يسر الإسلام وسماحته في أمر الطلاق وحماية الأسرة ورعايتها ، وان ابن تيمية لم يتخط هذه الدائرة من أقواله ، بل جميع ما أتى به مؤيد بالكتاب والسنة وما كان عليه أعلام هذه الأمة .

ونختم هذا البحث بما جاء في القانون المصري للمحاكم الشرعية ، وهو المعروف بقانون (٢٥ المؤرخ ١٠ مارس سنة ١٩٢٩) تحت عنوان «الطلاق» ما نصه :

١ – لا يقع طلاق السكران والمكره .

(١) ٦٨٣ ج ٩ م ٢٨ .

٢ – لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه ، لا غير .
٣ – الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلاّ واحدة .
٤ – كنايات الطلاق – وهي ما تحتمل الطلاق وغيره – لا يقع بها الطلاق إلاّ بالنية .
٥ – كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، وما نص على كونه بائناً في هذا القانون ، والقانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ .

قلت : وهذا القانون المشار اليه سنة ١٩٢٠ هو ما اتفقت عليه اللجنة المؤلفة من حضرات شيخ الجامع الأزهر ، وشيخ المالكية ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتي الديار المصرية ، ونائب السادة المالكية ، وغيرهم من العلماء .

وإنك لتجد في المذكرة الإيضاحية لهذه الأحكام الخمسة بياناً وافياً عنها واحدة واحدة ، وممّن من أئمة السلف ، وعلماء الحديث ، وفقهاء المذاهب أخذ بها ، وهذه المقررات منطبقة تمام الانطباق على ما قدمنا من مذهب الشيخين ابن تيمية ، وابن القيم ، والله أعلم .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

(استدراك)

فاتني أن أذكر (في الفصل الذي عقدته بعنوان : دفع فرية عن ابن تيمية ج ٣ م ٢٧ من مجلة المجمع) أن لشيخ الاسلام كتاباً مستقلاً في (شرح حديث النزول) (طبع بمصر سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ص ٢٣٠) وقد حقق فيه أن هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة كحماد بن زيد ، وإسحق بن راهويه ، بأنه تعالى في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء .

قلت : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويبعد عن شيخ الاسلام ضلالة تشبيه الله بخلقه ، ويهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر، مع نقد وتعليق

— ٣ —

ودرس الأدباء قضية الإعجاز في علم البلاغة الذي انبثق ولا شك من العناية بدراسة القرآن من ناحية جماله الفني ولا ريب في أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث على نشأة علم البلاغة إن لم تكن أقواها جميعاً فقد انقسم القائلون بالإعجاز منذ البدء في بحث الموضوع بحثاً علمياً منظماً فريقين: فريقاً يقول بأن إعجازه راجع الى بلاغته وحسن نظمه وأسلوبه، وفريقاً لا يرى إعجازه في ذلك ويلتمس له أسباباً أخرى ولكن الفريق الأول هو الأكثر ولم يكن بد من إثبات رأي هذا الفريق بالبرهان ولهذا أخذ أصحابه يجمعون نماذج من الأدب شعره ونثره ليقارنوها بالقرآن فألف الجاحظ كتابه «نظم القرآن» واسمه يدل على محتواه ولهذا عد الجاحظ أول المؤلفين في البلاغة وكتابه البيان والتبيين يصلح لأن يكون حجة على ذلك بما جمل من أبحاث ونظرات هي من صميم فنون البلاغة . ويذهب بعضهم الى أن الجرجاني هو أول من ألف في البلاغة ولا يصلح أن يطلق هذا القول من غير قيد فالجرجاني هو أول من نظم الأفكار التي قيلت في الموضوع وجعلها قواعد علمية وكتابه دلائل الإعجاز يصلح دليلاً على أن علم البلاغة نشأ من فكرة الإعجاز وكذلك الأمر في كتابه أسرار البلاغة ويناقش عبد القاهر في أولها مسائل في البلاغة والنحو ويذكر بأنه ليس في استطاعة أحد أن يدرك إعجاز القرآن إذا لم يحسن التمييز بين الأشكال المختلفة للتعبير ويتذوق جمالها .

والذي مهد للجرجاني السبيل الى تأليفه كتاب دلائل الإعجاز تأليف محمد بن يزيد الواسطي في هذا الموضوع وهو مفقود الآن وقد بدأ الجرجاني بشرحه شرحاً صغيراً لمس عدم كفايته فشرحه شرحاً كبيراً في كتاب سماه المعتضد فلما ظهر له أنه مقصر عن الغاية التي يريدها ألف دلائل الإعجاز بعده ، وليس بين أيدينا الآن كتاب الواسطي أو شرحا الجرجاني عليه لتتبين لنا الصلة بين المؤلفين وندرس طورين هامين من أطوار التأليف في الإعجاز والبلاغة .

وجاء الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) فاختصر كتابي الجرجاني ونظمهما تنظيماً جديداً في كتابه « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » فقدم نظرية الجرجاني في النظم بشكل أوضح . وهو يتكلم على الإعجاز أيضاً في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : « معالم أصول الدين » و « محصّل أفكار المتقدمين » . ولكنه لا يأتي من عنده بجديد .

ومن أشهر من ألف في الإعجاز على نهج عبد القاهر الجرجاني ابن أبي الإصبع القيرواني (٦٥٤ هـ) ألف كتاب « بيان البرهان في إعجاز القرآن » وعبد الواحد الزملكاني (٦٥١) في « التبيان في علم المطلع على إعجاز القرآن » وحازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤) الذي يقال إنه بحث هذا الموضوع في كتابه « منهاج البلغاء » وفي خزانة المدينة تصنيف للمؤلف باسم « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » .

ولا بدّ من القول بأن كلمة إعجاز أضحت تطلق مع مرور الأيام على علم البلاغة وأضاعت عند بعض المؤلفين المتأخرين مدلولها الأصلي الخاص فنجد مؤلفاً وهو غياث الدين لطف الله (١٠٣٥ هـ) يضع كتاباً في البلاغة سماه « الإعجاز في علم الايجاز » فلا يتكلم فيه الا على المعاني والبيان ولا يبين العلاقة بين اسم تصنيفه وموضوعه . ولعل أكبر دليل على العلاقة بين فكرة إعجاز القرآن ووضع علم البلاغة العربية هو أن الإعجاز اذا أطلق يراد به البلاغة نفسها .

ولا ينكر ما لفكرة الإعجاز من فضل في سرعة وضع علم البلاغة بيد أنها

التوسع في الكلام على أطوار الفكرة عند العلماء

القرن الثاني :

لم يصل الينا مادوّن في هذا القرن من آثار مدونة في إعجاز القرآن مؤيدة أو منكرة . وهذا لا يعني عدم حدوث جدل في هذا الرأي ، فمن المؤكد أنها كانت من أهم المناقشات في الديانات بين المسلمين وغيرهم . وذلك من البديهيات في مثل تلك البيئة الاسلامية . وقد اتهم بالزندقة في هذا العصر كثيرون ممن كان عهدهم حديثاً بالاسلام وقتلوا من أجل ذلك . ومن أشهرهم ابن المقفع فقد قتله والي البصرة متهماً اياه بالزندقة ونسب اليه بعضهم أنه عارض القرآن وألف كتاباً حمل فيه على الإسلام وانتقد القرآن . وأول من اتهمه بذلك القاسم بن ابراهيم الرازي (٢٤٦ هـ) فقد ألف رسالة « الردّ على الزنديق اللعين ابن المقفع » وهو يعرض فيها أقوال ابن المقفع في هذا الكتاب ويحاول أن يدحضها بالحجج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واختلفت آراء المحدثين من المؤلفين في كتاب ابن المقفع وردّ القاسم عليه . فعبد العليم المندي [1] يرى أن الرسالة من تأليف القاسم ولكنه يشك في حقيقة نسبة الكتاب لابن المقفع وذلك دون تحقيق . والأستاذ أحمد أمين [2] يشك كل الشكّ في نسبة الأصل لابن المقفع والردّ للقاسم ويبين الوجوه التي تحمل على هذا الشك . والرافعي يتهكّم بمن ينسبون معارضة القرآن لابن المقفع ويرفضها : ١) لأن ابن المقفع من أكبر البلغاء ولا يخفى عليه مقدار ما بينه وبين القرآن من تفاوت في البلاغة وعجزه عن معارضته . ٢) لأن من نسبوا اليه المعارضة

---

(١) في مقالته في مجلة الثقافة الاسلامية :
The Islamic Culture N 1 and 2. 32 nd Year .

(٢) « ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ » .

زعموا بأنه أقلع عنها بعد أن بلغ في معارضة القرآن الى آية : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ... » من سورة هود أو بعد أن سمعها من صبي يقرأ القرآن فلا يعقل أن يقدم ابن المقفع وهو من هو في العقل والأناة على معارضة القرآن قبل أن يقرأه كله عدة مرات وكيف يقرأه ولا يطلع على هذه الآية إلا بعد أن يسمعها من صبي أو بعد أن يعارض قسماً كبيراً من القرآن .

٣ً) لأنّ الدرة اليتيمة (١) التي يزعمون أنه عارض فيها القرآن وريقات قليلة لا توازي ما بين أول القرآن والآية السابقة من حيث المقدار ولأنها مترجمة عن كتاب بزرجمهر في الحكمة وفيها عبارات منتحلة من كلام الإمام علي في نهج البلاغة (٢) .

ويرى الرافعي أن قول العلماء بأن ابن المقفع قد استحيا لنفسه من معارضة القرآن بعد وصوله الى هذه الآية كذب وضعوه ليدفعوا به كذب الملحدين في أن ابن المقفع عارض القرآن فعلاً معتمداً على قوته وفصاحته ولينتهوا من ذلك الى أن ابن المقفع في عظيم قدرته وروائع بلاغته اذا عجز عن معارضة القرآن فغيره أعجز ، ويقول بأن ابن المقفع إنما رمي بالمعارضة لأنه اتهم في دينه وبأن البلغاء في عهده لم يكونوا يمترون في إعجاز القرآن وإنما كانوا يختلفون في وجوه إعجازه .

ويرجح أن الكتاب ليس لابن المقفع : ١ً) عدم النص عليه عند ذكر مؤلفات ابن المقفع غير رسالة القاسم بن ابراهيم الرازي السابق الذكر مع أن كتبه كانت معروفة مشهورة في العصر العباسي . ٢ً) أن أسلوب الكتاب ليس

---

(١) لا ندري ماذا يريد الرافعي بقوله الدرة اليتيمة . فهل يقصد كتاب الادب الكبير الذي كان يطلق عليه خطأ اسم الدرة اليتيمة أو كتاب اليتيمة نفسه وهو مفقود واذا كان يقصد هذا الأخير فكيف اطلع عليه وكيف بنى حكمه .

(٢) يرى الأستاذ احمد أمين عكس ما يرى الاستاذ الرافعي فنهج البلاغة عنده قد اقتبس بعضه من الحكم المترجمة لأن بعضه في رأيه منحول .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عربياً على ما هو معروف من براعة ابن المقفع في الكتابة وجمال الأسلوب ٠ ٣) أن حياة ابن المقفع لا تدل على أنه كان ضعيف الرأي حتى يرتكب ما عرف به ٠ ٤) أن « پول كراوس » من علماء المشرقيات يرى أن كتاب « خداي نامه » المنسوب لابن المقفع ليس له وإنما هو لمحمد بن المقفع فلا يبعد أن يكون هذا الكتاب أيضاً له أو لغيره أو أن أحد الشنوبة قد ألفه وعزاه لعبد الله بن المقفع ليشتهر أو أن القاسم بن ابراهيم رأى الكتاب ولم يعرف صاحبه فظن أنه لابن المقفع لما عرف من اتهامه بالزندقة في حياته ٠ هذا إذا أخذنا بالرأي القائل بأن الرد للقاسم بن ابراهيم نفسه وليس لغيره ٠

ونستطيع أن نجزم بعد هذا كله بحقيقة واحدة هي أن القرن الثاني قد شهد تأليف كتاب في نقد القرآن ومهاجمة الإسلام ، وأن ابن المقفع كان في جملة الأدباء والمفكرين الذين اتهموا بمعارضة القرآن ٠

* * *

القرن الثالث :

بدأ الكلام في الإعجاز بصورة علمية منظمة في بداية القرن الثالث أو أواخر القرن الثاني فقد رأينا كيف أرسل أحد رجال المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) وهو عبد الله بن اسماعيل الهاشمي كتاباً الى صديقه عبد المسيح بن اسحاق الكندي يدعوه فيه الى الإسلام ويذكر فيه حجج النبوة ومنها القرآن ، ورأينا كيف أجابه المسيحي على كتابه وانتقد الإسلام ولم يجبه الى الدخول في الإسلام ، وفي هذا العصر ظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز صدرت عن أحرار الفكر والمعتزلة والمتكلمين ، وكثر الكلام في الدين والنبوة وبحث في الإعجاز على أنه فرع لهما ٠ نشأ ذلك لأن هذا العهد كان عهد الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية ولا سيما اليونانية منها كما كان عهد حرية الفكر واختلاط أصحاب

الأديان المختلفة بعضهم ببعض فأدى تمازج هذه الثقافات وتصادم هذه الديانات الى تطور في الأفكار ونبضة علمية كان من نتاجها ازدهار العلم والأدب في هذا العصر ٠

وظهرت المعتزلة وقويت وظهرت معها فتنة خلق القرآن وقدمه في نهاية القرن الثاني واشتدت أيام قاضي المعتصم احمد بن أبي دؤاد (٢٢٠) وكان لا بد أن تبحث هذه المسألة كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الاسلام وظهر أول كتاب في الكلام لمؤلفه علي بن ربن الطبري في خلافة المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) ٠ كما تكلم عنها بعض الأدباء المعاصرين كالجاحظ ولم يصل الينا كلام المفسرين في هذا الشأن إلا في بداية القرن الرابع ٠ ونستطيع أن نصنف من تناولوا هذه القضية في العصر الثالث كما يلي :

أ — الى من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر وأرباب الأديان ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة ٠

٢ — والى المعتزلة الذين جنحوا الى القول بالصرفة ويمثلهم النظّام (٢٢٠ هـ) وابو اسحاق النصيبي وعباد بن سليمان وهشام القرطي و كانت وفاة الأخير بن حوالي منتصف القرن الثالث من الهجرة ٠

٣) والى المعتزلة الأدباء كالجاحظ ٠

٤) والى المتكلمين القائلين بإعجازه من جهة الأسلوب وأول من نعرفه منهم علي بن ربن الطبري الذي سبق أن أشرنا اليه ٠

آ — آراء منكري الاعجاز :

من أشهر منكري الإعجاز في هذا العصر ابن الراوندي وعيسى بن صبيح المزدار ٠

١ — ابن الراوندي :

فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً لأن فيه حروف هاتين الكلمتين (ص ١٤٣ من إعجاز القرآن للرافعي)

وذكر في موضع آخر (ص ١٨٧ نفس المرجع) أنه ابو الحسين احمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي وأنه كان مشهوراً بالحط من الشريعة وأنه ألف في معارضة القرآن كتاباً سماه « التاج » وكتاباً في الطعن عليه سماه « الدافع » وقد طعن فيه على نظم القرآن ونقضه عليه الخياط وابو علي الجبائي وذكر أنه نقضه على نفسه أيضاً وأنه كان يؤلف الكتب لأعداء الإسلام بأثمان يعيش منها ثم ينقضها بأثمان أخرى ولم ينقل من معارضته للقرآن شيء • وإنما ذكر صاحب معاهد التنصيص أنه اجتمع بالجبائي وأخبره عن معارضته للقرآن فقال الجبائي له : « هل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة الخ قال لا والله قال : قد كفيتني فانصرف حيث شئت • وربما وضعت هذه الرواية وضعاً للقول بأنه حاول المعارضة فعجز وأنه لم يكن مخلصاً يؤمن بآرائه بل يضمر خلاف ما يعلن • وذكر الرافعي له حجة في نقض النبوة وهي أن التحدي لا يصح أن يكون دليلاً على النبوة كما لا يصح أن يضع بطلميوس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم ثم يتحدى الناس إلى وضعه فإن عجزوا صحت رسالته •

وذكر الدكتور كراوس أن ابن الراوندي قال في القرآن على ماروا، المؤيد الشيرازي :

« إنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك العدة أفصح من تلك العدة إلى أن قال : « وهب أن باع فصاحته طالت على العرب فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم ؟ » •

وذكر كراوس أيضاً أن ابن الراوندي لم يكتف بنفي الإعجاز من جهة اللفظ بل تجاوز هذا إلى نقض القرآن من جهة المعاني أيضاً فقد روى عنه داعي الدعاة وكذلك ابن الجوزي في تاريخ المنتظم وعبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص وغيرهم كثيراً من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم وقال : « إن أردت

أن تقف على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فاقرأ كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥) .

وذكر عبد العليم الهندي أن ابن الراوندي كتب كتابه الدافع لبعض اليهود عندما كان مقيماً معهم في مخبأ فاراً خائفاً وأنه يشبه بعض الشيء من يسمى بالرمح الحر (Free Lance) من صحفيي هذه الأيام الذي يكون لك وضدك من غير مبرر ويناصر كلاً من الفريقين بالحماسة نفسها وأنه لم يصلنا من كتاباته الكثيرة إلا أشياء وردت في كتب غيره وردود عليها .

٣ – عيسى بن صبيح المزدار :

وأما عيسى بن صبيح المزدار وتنسب اليه الفرقة المزدارية من المعتزلة فقد قال بخلق القرآن وكان مشهوراً بالزهد والورع ويلقب براهب المعتزلة ولكنه كان يكفر الناس بسرعة حتى إنه كفر مرة أهل الأرض قاطبةً وهو يرى أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغةً وعلى ذلك أصحابه (الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ط لندن ص ٣٨) .

نقد وتلخيص :

يعاب على ابن الراوندي عدم إخلاصه لحقيقة يؤمن بها فهو ينصر الرأي وضده لمال يقدّم اليه وهذا العيب يبرأ منه عيسى بن صبيح المشهور بورعه وإخلاصه غير أن هذا كان كما يلوح لنا ضيّق الفكر سريع الحكم والتعميم ، يظهر ذلك من تكفيره أهل الأرض قاطبة على حين أن ابن الراوندي مرن الفكر قوي الحجة ينصر الرأي وضده ويشبه السفسطائيين من فلاسفة اليونان . ويتفق الاثنان على أن في طاقة البشر معارضة القرآن ويكتفي عيسى بالقول بذلك أما ابن الراوندي فلا يكتفي بمجرد القول به بل يعارضه بكلام من عنده .

واذا صحّ أن ابن الراوندي قد قال إن في القرآن سفهاً وكذباً لوجود حروف

هاتين الكلمتين فيه دلّ ذلك على ضعف عقله وسفسطائية صبيانية فيه وربما نسب اليه ذلك ليوصم بالحمق والجهل .

وقوله بأن التحدي لا يصح أن يكون دليلاً على النبوة محتجاً على ذلك بوضع بطلميوس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم أو ببداهة اختلاف مراتب الناس في البلاغة وطول باع أحدهم فيها عليهم قول قويّ الحجة يدل على سعة تفكير صاحبه وامتلاكه أزمّة المنطق وان كان لا يبلغ في قوته حدّ زلزلة فكرة الإعجاز من أذهان المؤمنين بها فان الإيمان الديني هو الشرط اللازم الكافي للقول بها فاذا وجد وجدت وإذا زال زالت .

ب — رأي المعتزلة القائلين بالصرفة : (النظّام) :

من أشهر المعتزلة القائلين بالصرفة وأولهم أبو اسحاق ابراهيم النظام (٢٢٠) وهو أستاذ الجاحظ في الاعتزال ، وكان يرى أن الإعجاز كان بالصرفة وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه ويروون له رأياً آخر في الإعجاز وهو أن القرآن إنما أعجز العرب لما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية والآتية (إعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٤) .

وذكر الفخر الرازي أن النظام قال : «إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به » . (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) .

ولم يصلنا شيء من كتب النظام أو أبحاثه وإنما عرفنا رأيه من الكتب الأخرى التي بحثت في هذا الموضوع . ونلاحظ أن القول بالصرفة يرجع في حقيقته الى إنكار الإعجاز ولكن تحت ستار خادع من القول به وربما كان ذلك لاتقاء غضب السلطة او الجمهور .

ج – آراء المعتزلة الأدباء : (الجاحظ) :

كان الجاحظ معتزلياً ومن أئمة البيان وقد وضع كتاباً في إعجاز القرآن من جهة النظم والاسلوب سماه نظم القرآن . وقد وردت بعض آرائه في البيان والتبيين وفي كتاب الحيوان وفي كتب غيره من المؤلفين بعده في الاعجاز .

ونرى الجاحظ يعتقد بالاعجاز ويذكر أن العرب على بلاغتهم عجزوا عن معارضة القرآن أيام صاحب الرسالة وذلك في كلام طويل يشرح فيه كيف قامت المشادة بين النبي والعرب بعد أن تحداهم الرسول أن يأتوا بمثل القرآن ويذكر له ما يدل على أن إدراك العرب لبلاغة القرآن المعجزة وقصورهم عنها كان بالذوق والشعور النفسي الداخلي وأن هذا القصور دليل على الاعجاز (الاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٩٨) .

ومن الغريب ما ذكره الشهرستاني (في الملل والنحل ص ٥٣ ج ١ ط لندن) من أن ابن الراوندي حكى عن الجاحظ أنه قال إن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً ومثل هذا الرأي يضحك إذا نسب للجاحظ لما نعرفه عن تهكمه على مثل هذه الآراء .

وذكر للجاحظ قولان في الاعجاز : القول بالصرفة والقول باعجاز الأسلوب فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه النظام وبالثاني حين استقل بنفسه أو إنه جمع بين الرأيين معاً ؟ لا ندري ! فانه بذكر الرأيين في كتابه الحيوان (ج ٤ ص ٣١ و ٣٢) متتاليين تقريباً . فيقول فيما يتعلق بالصرفة :

« ومثل ذلك ما رفع من اوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد ان تحداهم الرسول بنظمه ولذلك لم نجد احداً طمع فيه ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه ادنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب واشباه الأعراب والنساء واشباه النساء ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال فقد رأيت اصحاب

مسيلمة واصحاب بني النواحة إنما تعلقوا بما الف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه انه إنما عدا على القرآن فسلبه واخذ بعضه وتعاطى ان يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له » .

ويقول فيما يتعلق باعجاز النظم والأسلوب : « فلم يبق له رأي — اي للدهري الذي لا يقول بالتوحيد — إلا ان يسألنا عن الأصل الذي دعا الى التوحيد والى تثبيت الرسل في كتابنا المنزل الذي يدلنا على انه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء فيه » .

ويذكر الجاحظ في الحيوان (ج ١ ، ص ٥) ما يفهم منه انه الف كتاباً في نظم القرآن وغريب تأليفه — وقد وضعه رداً على بعض المعتزلة الذين قالوا بأن فصاحة القرآن غير معجزة وهذا اول كتاب افرد في الاعجاز كما يقول الباقلاني الذي سنرى نقده له فيما بعد — وانه الف ايضاً كتاباً اسمه « الحجة في تثبيت النبوة » وهذا يدلنا على تعرضه لعدة مسائل كلامية كان المعتزلة يعالجونها . وانا استبعد ان يكون الجاحظ قد قال بالرأيين معاً في وقت واحد لما نعرفه عنه من قوة التفكير ووضوح الحجة فان الرأيين متناقضان . ولم يتوسع الجاحظ في شرح نظرية النظم والاستشهاد عليها بأمثلة من القرآن ومن كلام العرب كما فعل من قالوا بها بعده كعبد القاهر الجرجاني لأنه — اي الجاحظ — كان اول من قال بها . وله فضل وضع الأسس التي شيد عليها أخلافه صروح حججهم .

د — المتكلمون القائلون باعجاز القرآن من جهة الأسلوب :

علي بن ربن الطبري :

ظهرت مسألة الأسلوب مبكرة في إعجاز القرآن ظهوراً واضحاً في كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري معاصر المتوكل ص ٤٠ حيث يقول : « حينا كنت مسيحياً كنت أقول كما يقول عمٌ لي متعلم بليغ بأن أسلوب القرآن

ليس معجزاً وليس من علامات النبوة لانه في استطاعة الناس كلهم ولكن عندما حاولت تقليده واطلعت على مدلول كلماته علمت ان اتباع القرآن على حق فيما يدّعونه له لأني لم أطلع على كتاب يأمر بالخير وينهى عن الشر ويقدم شريعة الله والعقيدة في النبوة وإلهام الرغبة في الجنة والبعد عن النار كالقرآن فعندما يحمل لنا شخص كتاباً يحمل نفس المميزات ويوحي الينا بهذه الطلاوة وهذه الروعة في القلوب ويحوز مثل هذا النجاح ويكون بنفس الوقت أمياً لم يتعلم أبداً فن الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك إحدى علامات نبوته » فالمعجز عند ابن ربن الطبري إذن هو هدف القرآن الاصلاحي وتحقيقه هذا الهدف وأوامره ونواهيه وإخباره عن الجنة والنار وأسلوبه الطلي الرائع برغم أمية النبي .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القرن الرابع :

من أهم من كان لهم كلام في موضوع الإعجاز في هذا العصر أو لهم صلة به المتنبي شاعر العربية الكبير فقد اتهم بمعارضة القرآن ، وابو الحسن الأشعري الذي كان في اول أمره معتزلياً ثم تحوّل الى مذهب أهل السنة وصار من أشهر متكلميها الذين نافحوا عنها ، وبندار الفارسي المتكلم ، والطبري والقمّي المفسران ، والواسطي والرمّاني والخطابي المتكلمون الأدباء ، وأبوهلال العسكري الأديب وسنلخص آراءهم وما قيل فيهم على الترتيب مصنفين بحسب الطوابع الفكرية التي امتازوا بها .

١ – المتنبي :

اتهم في هذا العصر ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر (٣٥٤ هـ) بأنه ادعى النبوة وعارض القرآن وحبسه والي حمص من أجل ذلك .

وقيل إنه ادّعى النبوة في حداثة أمره في وادي السماوة - بين الكوفة والشام - وتبعه خلق كثير من بني كلب وكان يتظاهر أمام الناس بالقيام بالخوارق وقد ذكر المعري بعضها في رسالة الغفران (راجع ص ٢٢٠ من رسالة الغفران) .

وقيل إنه تلا على البوادي كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه يحكون منه سوراً كثيرة وإن ابن حامد قال: «نسخت واحدة منها فضاعت مني وبقي في حفظي من أولها: «والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار، امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله» .

ويقول الرافعي إن هذا لا يساوي نثره ولا شعره بلاغة مما لم يقصد به أن يكون قرآناً كقوله يعاتب صديقاً له زاره في مرضه وانقطع عنه في إبلاله: «وصلتني وصلك الله معتلاً، وقطعتني مُبِلاً فإن رأيت ألا تحبب العلة إلي ولا تكدر الصحة علي فعلت إن شاء الله» . (إعجاز القرآن للرافعي في الكلام على من عارضوا القرآن) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ - أبو الحسن الأشعري المتكلم :

وفي هذا العصر يتعرض لهذا المبحث ابو الحسن الأشعري (٣٢٤) في كتبه ولكن هذه الكتب ضاعت وليس فيما بقي منها كلام فيه ووصلنا شيء من أفكاره عنه في كتب أخرى لغيره من المؤلفين (مقالة عبد العليم الهندي السابقة) .

ومجمل ما ذكر عنه من الآراء يتلخص فيما يلي :

أ) ذكر ابن حزم (الفصل في الملل والنحل ص ١٥ فصاعداً) قولاً روي عن الأشعري وهو أن المعجز الذي يتحدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل الينا ولا سمعناه . ويرد ابن حزم على ذلك بأنه لا يمكن تحديهم بشيء لم يروه ويمكن أن نفهم من قول الأشعري أن القرآن الذي بين أيدينا غير معجز .

٢ — ذكر ابن حزم (المرجع السابق نفسه) والرافعي (ص ١١٧ من إعجاز القرآن) أن مقدار المعجز عند الأشعرية مقدار أقل سورة في القرآن وهم يحتجون على رأيهم هذا بقول القرآن : « قل فأتوا بسورة من مثله » وقالوا ولم يتحدَّ القرآن بأقل من ذلك .

ولا يوضح هذان الرأيان رأي الأشعري في الاعجاز فالأول يمكن أن يفهم منه أن الأشعري لا يقول باعجاز القرآن الذي بين أيدينا ، والثاني لا يتكلم إلا على أقل مقدار تحدّى فيه القرآن العرب .

٣ — بندار الفارسي المتكلم :

ويتكلم ابو حيان التوحيدي في مسألة الاعجاز (الاتقان بحث الاعجاز ص ١٩٨ من الجزء الثاني) فيذكر رأي بندار الفارسي في الاعجاز فيقول : « سئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى وذلك شبيه بقولك ما وضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الاحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

ويظهر لنا من كلام بندار أنه متكلم يريد أن يحسن التخلص فالقرآن معجز لأنه معجز ولأنه كلام الله فمن البديهي إذن أن يكون كلام البشر دونه ويلاحظ أنه عوضاً عن أن يستدل بالإعجاز على صحة النبوة وأن القرآن لذلك كلام الله عكس الآية ففرض ان كونه كلام الله قضية مسلمة وأنه لذلك كان معجزاً وهو يصور لنا انحرافاً خاصاً في فهم مسألة الاعجاز لم يكن عند الأولين .

٤ — الطبري المفسر :

وفي هذا الزمن نرى الطبري المفسر (٣١٠) يتكلم في تفسيره عن الاعجاز خلال تفسيره لآية التحدي من سورة البقرة (سورة ٢ آية ٣٢ — ٣٣) وقد ذكرت في المقدمة شيئاً عنه وعن ميزة كلامه في هذا الموضوع بين المفسرين ومجمل ما كتبه في تفسير هذه الآية (ص ٦٥ ج ١ من تفسيره) يتلخص بما يلي :

١ — القرآن معجزة باقية أبد الدهر لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيان بمثلها في البيان .

٢ — القرآن معجز لما فيه من القدرة على إبانة ما يقصده المتكلم .

٣ — تحدى القرآن العرب بمثل القرآن الذي هو بلغتهم ومعاني منطقه موافقة معاني منطقهم (ويلاحظ هنا أنه يقصد بالمنطق اللفظ لا العلم المعروف) .

٤ — عجز العرب عن معارضته الا من أتى بسخافات من نوع أقوال مسيلمة « والطاحنات طحناً الخ » .

٥ — ذكر الوجوه التي يتفاوت فيها الكلام بلاغة وما ورد منها في اللسان العربي وهي في جملتها لا تخرج عما يطرقه علم البلاغة من أبحاث التقديم والتأخير والاستعارة والايجاز والاطناب .

وعرض الطبري لمسألة النظم فقال : « ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سوره الخطباء وكلّت عن وصف شكله البلغاء وتحيرت في تأليفه الشعراء ... الخ (ص ٦٥ ج ١ من تفسير الطبري) .

(يتبع) نعيم الحمصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب مصورة
في خزانة المجمع العلمي العربي
- ٢ -

الحماسة البصرية :

لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري - ٦٥٦ هـ . يبتدئ بالمقدمة ثم يتلوها باب الحماسة وأوله قصيدة لعمرو بن الاطنابة الانصاري . والنسخة بخط جميل مشكول عدد أوراقها ٣١٩ من المكتبة « نور عثمانية » . وقد حصلنا على صورتها بطريق الإدارة الثقافية للجامعة العربية .

ديوان الغزي :

لأبي اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي المعروف بالغزي . افتتح بمقدمة تزيد على الصفحة أولها بعد البسملة : وما توفيقي الا بالله وحده ، قال الشيخ الامام الأديب أوحد الزمان ابو اسحق ... ثم تتلوها القصائد بخط أقرب الى الرداءة . عدد أوراقه ١٧٠ ورقة . والديوان مصور من المكتبة الأهلية في باريز .

ديوان ماماي الرومي :

لمحمد بن احمد بن عبد الله الرومي الانجشاري احد أجناد الشام الشهير بماماي والمتوفى سنة ٩٨٥ للهجرة . ناقص الأول نقصاً يسيراً يبتدئ بقصيدة أولها :

بروق حمى نجد شجاني ابتسامها   فحق لعيني أن يسح غمامها

والنسخة بخط جميل مقروء غير مشكول بقلم نسخ كتبت سنة ١٢٧٦ للهجرة .

عدد أوراقه ٢٢٢ ورقة من جامعة الدول العربيـة «معهد احياء المخطوطات» وقد صور هذا الكتاب في دار الكتب البلدية بالاسكندرية .

ديوان أسامة بن منقذ :

لمؤيد الدولة أسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد الكنـاني ـ ٥٨٤ هـ ـ : وهو ديوان مرتب على الأبواب ، أولها : باب الغزل ثم المكاتبات ثم الشكوى والفراق الخ ... نسخ سنة ٦٨٨ هـ بخط عبد العزيز بن احمد العجمي وهو خط جميل مقروء . عدد أوراقه ١٩٥ ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري :

نسخة قيمة فريدة من جامعة الاسكوريال ناقصة الأول كتبت بخط جميل مقروء أولها قصيدة تبتدئ بالبيت التالي :

فالراجح اللب يأبى أن يحمله وزراًهوى الرجح الا كفالفي الأزر

وهذا المجلد هو الجزء الأول من ديوان ابن أبي حصينة . وقد جاء في آخره اشارة الى أن الجزء الثاني يتلوه مبتدئاً بأرجوزة في المدح . عدد أوراق هذا القسم ١٧٢ ورقة .

ديوان عبد المحسن الصوري :

لأبي محمد عبد المحسن بن غالب بن غلبون الصوري . وهو ديوان تام للشاعر ، تفضل رئيس المجمع العلمي العراقي باهداء صورته الى شقيقه المجمع العلمي العربي في دمشق . وقد رتب على القوافي يقع في ١٧٦ ورقة وجاء في آخره ما نصه : «نقلت نسخة هذا الديوان من نسخة نفيسة وجدت في جملة كتب آل السيد عيسى البغداديين .... وهي نسخة نفيسة ... خطها مقبول ويظهر انها من مخطوطات القرن السادس او السابع وقد جاءت في ثلاثة وعشرين كراساً بالقطع المتوسط في كل كراس عشر ورقات وفي كل صفحة خمسة عشر سطراً.

ديوان الخياط :

لأبي عبد الله احمد بن محمد الخياط . وهو ديوان جميل النسخ مشكول بعض الشكل ، رتب على الحوادث والمناسبات ولم يرتب على القوافي . أكثره في المدح يقع في ثمان وسبعين ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

مرآة الزمان لسبط بن الجوزي :

في المجمع من هذا الكتاب لابن الجوزي مجلدات مختلفة وصفها كما يلي :

المجلد الأول :

تام الأول . يبتدئ بالمقدمة ثم يسرد الفصول الخمسة التي يشتمل عليها هذا الجزء : الفصل الأول في معرفة التاريخ وهل فرقت العرب بينه وبين التوريخ . الفصل الثاني في عيون التواريخ والآثار وأسانيد الأخبار . الفصل الثالث في انقضاء مدة العالم وما تقدم من السنين وتقادم . الفصل الرابع فيما ينبغي للمؤلف استعماله من الكلام المنسق النظام . الفصل الخامس في تراجم الأبواب . ينتهي هذا الجزء في « فصول ذكر نبينا ﷺ ، فصل في ذكر نسبه وأجداده ، وفصل في ذكر أبيه عبد الله » . يقع في ٣٤٦ ورقة وهو ناقص الآخر من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد الثاني :

ناقص الأول والآخر يبتدئ بنهاية السنة الخمسين بترجمة المغيرة بن شعبة ، ذكر صفته واسلامه وطرف من ذكائه ووفاته، وأزواجه وأولاده ثم تدخل السنة الحادية والخمسون وينتهي هذا الجزء بالسنة التاسعة والثمانين وفيها افتتح العباس ابن الوليد ومسلمة سورية وعمورية ... الى ان يصل الى أول ترجمة عمران.

ابن حطان السدوسي الخارجي وهنا يبدأ خرم آخر الجزء . يقع في ٣١٤ ورقة وقد سقط من وسطه ثلاث وعشرون ورقة من ٢٨٨ حتى ٣١١ وهو من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الثالث :

هذا الجزء كسابقه مخروم من أوله ومن آخره . يبتدئ بآخر سنة خمس وسبعين ومائة فيتكلم عن حج الرشيد بالناس في هذه السنة وينتقل الى ذكر من توفي فيها من الأكابر كالربيع بن يونس بن محمد والليث بن سعد بن عبد الرحمن ابي الحارث والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ثم يتلو ذلك بقية السنين من سنة ست وسبعين ومائة حتى أول سنة اثنين ومائتين حيث يبدأ خرم نهاية الجزء . يقع في ١٥٣ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجلد الرابع :

هذا المجلد من كتاب المرآة هو الجزء السادس فقد جاء في آخره ما نصه : « يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع السنة الثانية والثانون بعد المائتين » . يقع في ٢٣١ ورقة . يبتدئ بالبسملة والاستعانة والكلام عن السنة التسعين بعد المائة وينتهي بحوادث السنة الحادية والثانين بعد المائتين . من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الخامس :

حوادث هذا الجزء تقع من السنة التاسعة والسبعين بعد المائتين حتى السنة الستين بعد الاربعمائة . أوراقه ٢٦٢ ورقة وقد اختلف خط الصفحة الأولى عن بقية الصفحات وهو من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السادس :

يبتدئ هذا المجلد بحوادث السنة الثامنة عشرة بعد المائتين وينتهي بحوادث السنة الثامنة والسبعين بعد المائتين في خلافة المعتضد بالله وهو يقع في ٢٥٥ ورقة تام الأول والآخر من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السابع :

كتب في أول هذا المجلد على الورقة الأولى أنه الجزء الثاني عشر من مرآة الزمان وقد ابتدأ بالبسملة والصلاة ثم حوادث السنة الأربعين والأربعمائة وانتهى بحوادث السنة السابعة عشرة وخمسمائة . وهو تام من أوله ناقص من آخره . قسمه المجمع تسهيلاً لحفظه الى قسمين :

القسم الأول : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٤٠ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٤٦٧ هـ .

والقسم الثاني : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٦٨ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٥١٧ هـ .

وهو من المكتبة الأهلية في باريز . مجموع أوراقه في القسمين ٣١٦ ورقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجلد الثامن :

هذا المجلد هو الجزء السادس عشر من مرآة الزمان . تتضمن أوراقه حوادث السنة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمائة حتى السنة الأربعمائة . يبدأ بالبسملة وذكر ما جرى بين أولاد ناصر الدولة وينتهي بترجمة أبي عبد الله القمي التاجر المصري بزاز خزانة الحاكم . وقد ذكر في آخر المجلد انه «تجز الجزء السادس عشر من مختصر مرآة الزمان على التمام والكمال ويتلوه في الجزء السابع عشر السنة الحادية والأربعمائة» . كتب هذه النسخة أحمد بن العلم بن عبد الله الحكيمي . وهي تقع في ٢٤٦ ورقة من المكتبة الأهليه في باريز .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة :

في خزانة المجمع الجزآن الأول والثاني من نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي . وقد نسخا في القرن السابع بخط نسخ نفيس ، عدد أوراق الجزء الأول ١٠٤ ورقات وأوراق الثاني ١١١ ورقة وقد رقمت أوراق الجزأين بالتسلسل حتى وصلت الى ٢١٥ ورقة . وهو من مكتبة مراد ملا بطريق الجامعة العربية .

نبذ ونصوص تاريخية للنعيمي :

فيه حوادث تاريخية من النبي (ﷺ) الى المنتيب لله يوسف العباسي وأرجوزة في الخلفاء والسلاطين لأبي العباس احمد الباعوني وذكر تواريخ خلفاء بني العباس وأسماؤهم ومدة خلافتهم والعقود الدرية في الأمراء المصرية . من مكتبة المتحف البريطاني .

(يتبع)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

زوابع

ديوان شعر للأستاذ مارون عبود

طبع ديوان (زوابع) في دار المكشوف ببيروت، عام ١٩٤٦، على ورق صقيل من القطع الكبير، طبعاً جيداً، وقوراً، لا تجد فيه تلك الزينة المستهترة التي يحلي بها دعاة الأدب العاري قصصهم ودواوينهم، وهو يقع في أزيد من ثلاثمائة صفحة، ولعل أبياته أقل من ألفي بيت: هذا هو وصف الديوان الطباعي أو الحسابي ...

أما مادة الديوان فقد وصفها المؤلف بأنها «رسالة قومية من قلب هذا الشرق النابض»، وإنها لرسالة قومية، ولكنها تنبع من قلب مارون عبود، وهو خير من قلب الشرق، الذي يشبه رأس التنين ... كثرة!

في «زوابع» شعر قومي، يمجد العروبة ويدعو الى الاعتزاز بالوطن والتجاب فيه والنفرة من المستعمر، ويهيب بأبناء البلاد من مختلف المذاهب الى الخروج من أفق التعصب الضيق الى أفق العروبة والانسانية الرحيب، فمؤلف الديوان صورة رفيعة للبناني العربي الذي نابذ التعصب الديني وانطلق يكرم كل قيمة فكرية في بلاده، سواء أكانت مسيحية أم مسلمة، لحسبه أنها عربية!

من كان يتصور مارونياً (سوى مارون عبود ..) يقول في الحجاز:

(وأما الحجاز مقام النبي التي شرف الله جدرانها
فسوف نظل لنا قبلة تحث لها الناس أظعانها

أو يقول في الاسلام مخاطباً الرسول :

(دين تدفق حكمة وتجددا ، كالبحر لفظاً والسماء معاني
ألفت منه وحدة كونية العبد والمولى بها ندان

* * *

فلتنحن الأجيال إجلالاً اذا ذكر النبي الأطهر العدناني)

... ويذهب مارون عبود الى أبعد من شعره ، فيسمي ابنه البكر (محمداً) وتقوم عليه قيامة الدنيا المارونية ، ولكنه لا يبالي بسخطها ولا بوعيدها ، ويخلد لنا عمله الكبير ، الذي كان يشبه تفجير القنبلة الذرية ، في قصيدة لطيفة يقول فيها :

(خفف الدهشة واخشع ان رأيت ابن مارون سمياً للنبي
أمه ما وضعته مسلماً أو مسيحياً ولكن عربي
والنبي القرشي المصطفى آية الشرق وفخر العرب)

وبعد .. فان ديوان (زوابع) يقرأ في كثير من اللذة ، وفيه أبيات بارعة ، ولكنه لا يجعل من مارون عبود شاعراً من الطبقة الأولى ، وفي الديوان كثير من نقط الضعف الفنية التي ينكرها الأستاذ عبود على الشعراء الآخرين ، ولذلك قال لنا في مقدمة ديوانه ، بأسلوبه الساخر المحبب :

« هذا هو مارون عبود الشاعر ، أما مارون عبود الناثر فهو رجل غير هذا ... افهم يا صاحبي ، إن الناقد يعرف الذهب ويميزه ، وإن عجز عن خلقه . فان رأيت عند هذا المارون ما لا ينطبق على آرائه في الشعراء ، حين ينتقد غيره ، فكن متأكداً أن مارون الناقد لن يرحم مارون الشاعر . فوالله ، وبالله ، وتالله ، لأؤدبنه أدباً صارماً ، ولأحملن عليه ، كما حملت على غيره ، حملات غواشم ... »

مجددون ومجترون

تأليف مارون عبود

٢٢٨ صفحة · طبع دار العلم للملايين ، عام ١٩٤٨

يدعو الأستاذ عبود في فاتحة هذا الكتاب الى التجديد والابداع في الأدب العربي ، وترك التقليد ، الذي يسميه (الاجترار) ، ويشبه الجديد بالكنة ، والقديم بالحماة ، ويصف لنا المشادة الدائمة بينهما وصفاً لبنانياً (بلدياً) ، يخاطب الحواس والعقل معاً ، والأستاذ ، بعد ، مولع بالحكايات والأمثال البلدية ، لايخلو منها كتاب من كتبه ، فمن طلب الأدب العامي اللبناني أو (الفولكلور) وجده هناك ·· فهذا الأديب ، الذي يتتبع حركة الأدب الغربي كأحد نقاده ، حريص على تلوين كتاباته كلها بلون محلي خاص ، وبذلك يجمع بين « الاقليمية » و « العالمية » ·

يقول لنا الأستاذ عبود :

« اندع المجترين يتبلغون بما في بطونهم ونخلق طعاماً جديداً · ان في الأدب أزياء تتجدد · إن البساتين تحتاج دائماً الى التطعيم ، والآداب بساتين الشعوب ، فلنطعم أدبنا فقد أصبح بريا » ·

ويقول لنا أيضاً — وإن كان يكره لفظة أيضاً :

« ·· قرأ شبابنا آداب الأمم فأغرتهم بالخلق ، فتحهم لهم المحاربون القدماء ، يريدون أن تظل الجبهة في البيداء ، فقالوا : ليس هذا من كلام العرب !

إن الشعر معمل تصنع فيه التعابير ، ولهذا يحق لنا أن نقول للشاعر : كن كيف شئت ، إلا اثنين فلا تقربهما أبداً ، النحو واللغة ! » ·

·· وينتقل بنا الأستاذ عبود من مقدمته « النظرية » الى « التطبيقات العملية » فيحلل لنا شيئاً من شعر بشارة الخوري وأمين نخلة ويوسف غصوب والياس ابوشبكة

وامين تقي الدين ومحمد رضا الشبيبي وابراهيم العريض واحمد الصافي النجفي وعمر ابو ريشة ونازك الملائكة وينهي كتابه بكلمة صغيرة في أدب المهجر .

قد يرضيك رأي الأستاذ عبود وقد يغضبك ، ولكنك ستعجب بقوة حجته وبراعة أسلوبه ، وعندي أنه كان قاسياً شديداً على النجفي والأخطل الصغير ، فقد اكتفى من شعرهما بأبيات تشبع شهوته الى السخر والتفنيد .. والتأديب !

نحن مع الأستاذ في صف الكتة والجديد ، ولكننا لا ننكر ، مثله ، على الشعراء استعمالهم تراكيب قديمة ، كنفثة مصدور ، وسقى الله ضريحه ، ولله دره ، وبعد الثريا عن الثرى الخ .. الخ .. فهذه التعابير يوجد مثلها في كل لغة ، ولا يقدح استعمالها في أدب كاتب او شاعرية شاعر ، فليس معنى الابداع أن ينشيء كل أديب لغة كلها جديدة ، وتعابير كلها أبكار ، وإنما الابداع ان يزيد الأديب في ثروة الأدب ، التي تنمو ولا تنقطع ولا تغيب ! ونحن ، شئنا أم ابينا ، نستعمل في احاديثنا ورسائلنا كثيراً من الكلمات والتعابير القديمة في معان طريفة واغراض متجددة ، فاذا قلنا : « سلام عليكم » ، فلا يعني هذا اننا مجترون ، لأنه لا يطلب منا ان نخترع كل يوم كلاماً جديداً في تحية الناس !! ..

ينكر الأستاذ عبود على لسان الدين الخطيب مطلع قصيدته :

(جادك الغيث اذا الغيث همى يازمان الوصل في الأندلس)

ولماذا هذا الانكار ؟ لأن ابن الخطيب — كما يقول — (شغل عقله تصور شاعر الصحراء المتقدة احشاؤه ، فأنساه توالي المطر وغزارته في الأندلس ، فنظم كأنه بيثرب او منى) .. وليس الأمر كذلك ، إنما هو دعاء معروف ، مألوف ، كتعبير « سلام عليكم » ! وهب ارض الأندلس لا تحتاج الى الغيث (ومن يدري ؟) فان ذكرى الأندلس تحتاج الى من يسقيها ويتعهدها حتى تدوم لها خضرتها ونضرتها ؛ وليس شيء أقوى من صورة الغيث في تأدية رسالة الإحياء والبعث .

على المحك!

تأليف مارون عبود

٢٩٠ صفحة من القطع الصغير . طبع دار العلم للملايين ببيروت عام ١٩٤٦

كتاب من نسيج «مجددون ومجترون» وضحاياه هم الصافي وبشارة الخوري والرصافي والزهاوي والملاط والعقاد ، وغيرهم ، وهو من الكتب التي تفيد قراءتها الناقد والشاعر ، فالناقد تقوى عنده ملكة النقد والسخر ، والشاعر تجنبه مواطن الضعف والقبح ، والسعيد من اتعظ بغيره !

يوطئ الأستاذ عبود لكتابه بكلمة الشيطان لأيفان في رواية كرامازوف :

«يجب أن تشك وتجحد ، فبدون الشك والجحود لا نقد ..

يجب أن أنتقد ، لأن النقد أصل الحياة ..»

وهذه الكلمات تضع في يدك مفتاح الكتاب كله !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرؤوس

تأليف مارون عبود

٣٣٣ صفحة من القطع المتوسط ، طبع دار المكشوف ببيروت ، عام ١٩٤٦

يعرض علينا المؤلف ، في هذا الكتاب ، «رؤوس» الشعر العربي ، من امرئ القيس الى شوقي ، وقد قدم بين يدي كلامه على شعراء الجاهلية مقدمة حلل فيها «نفسية» العربي وأظهر أثر الصحراء في فكره وحسه ، ثم عدد شعراء الجاهلية ، أصحاب المعلقات ، ووصفهم بكلمات قليلة لا غناء فيها ، وانتقل الى شعراء الاسلام ، فتحدث عن شعراء العصر الأموي الهجائين ، الأخطل

وجرير والفرزدق ، وسماهم « الثالوث الأنجس » ثم تحدث عن غزل عمر بن ابي ربيعة ، ووجد له كنية تليق به وتذكر الناس بزير النساء في الغرب « دون جوان » — ولعلك عرفت هذه الكنية ، فهي « أبو جوان » — وانتقل الى عصر العباسيين فحدثنا عن بشار وأبي نواس وأبي تمام ودعبل وابن الرومي والبحتري حديثاً موجزاً ولكنه يكشف لنا عن أبرز خصائصهم . أما (المتنبي) مالئ الدنيا وشاغل الناس ، فقد أخذ ثلث كتابه تماماً ، ومما قاله فيه :

(ليس شعر المتنبي دواء يؤخذ بالفم بل بالدم ، فهو حامل رسالة العروبة ، وهو شاعرها القومي الباقي . لم تكن نافذته مسدودة ، فأطل منها على الدنيا بأسرها ، أما مخيلته فكانت كالرياح التي أرسلها الله لواقح . وبعد ، فالمتنبي مركب غريب عجيب ، كأنه عنى نفسه حين قال : كأنك من كل النفوس مركب .

فيه جفاء الفرزدق ، ورقة جرير ، ووصف الأخطل ، وتفكير الفلاسفة ، وخيال الشعراء العظام وهو الذي خطا بالشعر أعظم خطوة ، فجعل لغته لغة الناس المألوفة . واذا كان حد الشاعر والكاتب الكبير كما قال فاكه : (أي أنهم لا يكتبون بعده كما كانوا يكتبون قبله) ، فيكون هذا هو .

شبه المؤلف المتنبي بفيكتور هوغو ، وما نرى هذا التشبيه إلا بعيداً ، ورد على كثير من الآراء الخاطئة التي تورط بها طه حسين في كتابه (مع المتنبي) ، ومنها زعمه أن البيئة المصرية المثقفة المفكرة هي التي أنقذت شعر المتنبي من هذا الفساد الذي دب اليه في البيئة الشامية ، ومن هذا التكلف الذي يمقته الذوق السليم ! ومما قاله الأستاذ عبود ، وأحسن ، في الرد على هذه الناحية :

(اننا أرسلنا المتنبي الى مصر ناضجاً كل النضج ، بعد أن قضى في محيطنا سنين أنمت ذوقه وصيرت بسره رطباً وتمراً وأذهبت كثيراً من جفاء طبعه ولسانه . فاللهجة الشامية التي هي أصح لهجات العرب والتي تكاد تكون حتى اليوم فصيحة التي هي أسبغت على أسلوب الشاعر العظيم هذه الروعة وهذا الأسلوب البعيد

عن الكلفة والعجمة ، بل هذه التعابير الدمثة التي يفوح من أردانها عرف المدنية وأريج الحضارة) .

ويترك المؤلف المتنبي ، الذي استوقفه طويلاً طويلاً ، ليحدثنا في كثير من الايجاز عن الشريف الرضي ، فالموشحات الأندلسية (وهنا ينقل الينا عن الشيخ فيليب الخازن أن شعراء الغرب قلدوا موشحات الأندلسيين وأخذوا عنها القافية ، التي كانت مجهولة عندهم من قبل) ثم يحدثنا بلغة البرق (أو البرقيات ، اذا شئت ..) عن ابن الفارض وبهاء الدين بن زهير و « الرؤوس الصغيرة » التي اشتهرت بالقصيدة أو بالأبيات ، وعن شعراء جبل لبنان الذين ظهروا في عهد الأمير الشهابي ، وكانوا فجر النهضة الجديدة في دنيا العرب ، ويختم كتابه بالكلام على شوقي .

رواد النهضة الحديثة

تأليف مارون عبود

٢٢٤ صفحة . طبع دار العلم للملايين عام ١٩٥٢

يختلف هذا الكتاب عن سائر كتب الأستاذ مارون عبود التي مرت بك ، فهو كتاب نقد « موضوعي » ، مدرسي ، يصف لنا حياة كل واحد من رواد النهضة الحديثة وآثاره الأدبية ، ومن حق هذا الكتاب أن يقرأه كل مثقف ، وكل طالب ، حتى يعرف تاريخنا القريب وبكرم أعلامه ، الذين عبدوا لنا الطريق الى المعرفة والنور والحرية و ... الحياة !

ذكر لنا الأستاذ عبود في كتابه أسماء أعترف — وأنا مطرق رأسي خجلاً — أنني كنت أجهلها تماماً ، وذكر لنا أسماء اخرى أعرفها معرفة يسيرة ، ولكنه أجاد كثيراً في تصوير نواحي العظمة فيها ، وحببها إليّ وشوقني الى قراءة آثارها .

قد يقال إن الأستاذ عبود نظر الى الرواد من أفق لبنان ، أكثر مما نظر اليهم من أفق العروبة ، فأهمل مثلاً أسماء مصرية أو شامية كان يجب أن تذكر ، وذكر أسماء لبنانية كان يجب أن تهمل ، ولكن هذه « الملاحظة » لا تنقص من قيمة كتابه ، لأنه يؤدي لكثير من أعلام لبنان شهادة من لون خاص ، شهادة « شخصية » ، لاتصاله بهم وأخذه عنهم ؛ هذا الى أن لبنان كان رائد البلاد العربية في النهضة الأدبية ، فغير غريب أن يكون أوائل رجاله أوائل العرب ، وقد وعدنا المؤلف ، على كل حال ، أن يقدم الينا ، في كتاب جديد ، أسماء جديدة ، فلعله يضيف الى « جريدة » الرواد أسماء من أهملهم .

أول رائد يحدثنا عنه كتاب الأستاذ عبود هو المطران جرمانوس فرحات ، الذي ولد في القرن السابع عشر ، وكان أول نصراني ألف في النحو و (قال الشعر معرباً ، بعد ما كان زجلاً مريانى الوزن) و (صحح الترجمة العربية للمزامير والأناجيل وسائر كتب الموارنة الكنائسية ، فعرفت الكنيسة فصاحة العرب) ثم يحدثنا عن الصائغ ، والنابلسي ، والحر ، والنحلاوي ، والبربير ، وابن افرنجية ، والترك ، وكرامة ، وناصيف اليازجي ، والأحدب والأسير والأنسي والكستي ، وخليل الخوري ، وفرنسيس مراش ، والبارودي ، وأرسلان ، وشاكر الخوري ، ومحيي الدين الخياط ، وتامر البلاط ، والبستاني ، ونجيب الحداد ، والشدياق ، وأديب اسحق ، وشميل ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومصطفى كامل وغيرهم ، ولولا خوف الاطالة ، لنقلت من هذا الكتاب جملاً بل صفحات .. ولكن القارئ مطالب بأن يقرأ الكتاب ، فالأستاذ مارون عبود ، الذي يعرف الأدب الغربي ، قديمه وحديثه ، معرفة جيدة ، يظهر لنا في هذا الكتاب كأنه الأب لويس شيخو ، منقوصاً منه تعصبه ، ومزيداً فيه هذا الأسلوب القصصي الحلو ، الذي يهدهد ولا ينيم ، ويعطيك درساً بليغاً في الأدب ، وأنت تظن أنه يروي لك حديثاً أو « حكاية » : إنه العلم باللذة .. لا بالسيف !

لمن ؟

للأستاذ ألبير أديب

مجموعة من الشعر الرمزي ، طبع دار المعارف بمصر

(لمن ؟) ، مجموعة من الشعر المنثور ، وأكاد أقول ... من اللؤلؤ المنثور ، ألفها ألبير أديب ، صاحب مجلة « الأديب » اللبنانية .

كان الأستاذ أديب معروفاً عندنا بثقافته الفرنسية الواسعة ، وبأنه من أنصار المدرسة الرمزية في الشعر ، ولكنه يترك الآن كرامي (النظارة) ويأخذ طريقه الى (المسرح) ، لينشد مع المنشدين ، ويبدع مع المبدعين ، فهل كان مقامه بيننا ، كل ذلك الزمن الطويل ، تعمية (كاموفلاج) أم تقية ، أم تواضعاً ؟ ..

(لمن ؟) ، كتيب صغير في مئة صفحة ، ولو « ضغطت » كلماته وصفت صفوفاً متتابعة بأحرف دقيقة ، كما يصف النثر في الكتب القديمة ، لما تجاوزت أوراق الكتاب عشرين صفحة ... ولكن المؤلف عرض علينا كلماته كما ينبغي لما : فنياً أو (مسرحياً) أن تعرض : لوحة بعد لوحة ، ومشهداً بعد مشهد ، ولذلك لا نجد في الصفحة « ٥٩ » مثلاً ، سوى هذه الكلمات :

(حقيرة أنت
خلعت عليك المجد
فكنت) .

ولا نجد في الصفحة (٧٧) سوى هذه الكلمات :

(الى التي
كانت لي واحة)

فاذا حذفنا حرفي الجر والضمائر والفعل الناقص ، بقيت كلمة واحدة !

لغيري أن تضيق نفسه (وأنفاسه) بهذا الاسراف ، وأما انا فقد أكون آخر من يشكو أو يتألم ، لأنني أعرف البير اديب ، وذوقه ، وأناقته ، واعرف أنه «جواهري» لا يضع الجوهرة إلا في حرز مثلها ! إن في الغرب من يرى أن تكتب الأشعار كتابة مخصوصة ، بحروف مختلفة الألوان والأحجام ، حتى تؤدي للعين رسالة الموسيقا للأذن ، فلماذا نستكثر على الأستاذ أديب ان يعرض علينا شعره كما خرج من نفسه : دفقة بعد دفقة ، ووقفة بعد وقفة .

كتاب الأستاذ اديب صغير الحجم ، بل هو صغير جداً ، ولكنه يذكرني بكلمة «ده موسيه» التي قالها في وصف جسم حسن : (خلقة الله صغيراً ، ليجعله جميلاً ..) فهو صغير ، كالماسة ، واللؤلؤة ، وقطرة الندى ، ولكنه ككل أولئك فيه كل معاني النور ، والبحر ، والفجر !

تمنيت على الله أن يمد الأستاذ (أديب) بالقدرة على النظم ، حتى تكسب كلماته في قوالب النظم جمالاً فوق جمالها ، ولكنني أشهد أن بعض نثره ، أشعر من الشعر .

ان هذا اللون من الأدب معروف في الغرب ، ولكنه في بلادنا لون جديد ، ويجب على أدبائنا الذين يجهلون لغات الغرب أن يقبلوا على قراءته ، ليلقحوا به — كما يقول الأستاذ عبود — بساتينهم البرية !

في الغرب شعر رمزي غامض ، وأما شعر الأستاذ اديب فأكثره مشرق ، واضح ، سهل ، ولا يصح أن يسمى رمزياً إلا تجوزاً ... إنه يشبه بعض أغاني اوسكار ويلد ، ولكنه لا يشبه شعر مالارمه او ڤاليري ، فان عد شعراً رمزياً ، فصاحبه في اول درجات الصوفية الرمزية ، القريبة من أفق البشرية ؛ لم يذهب وراء الغيوم !

واليك الآن قطعة من هذه المجموعة ، عنوانها «شاعرة» :

(كانت جميلة كشهر نوّار
وكان يعبق منها العطر كورده
واسمها كان مباركاً كهذا الشهر الجميل
جاءها يوماً شاب خبيث
ضحك من زهوها
فزادها غروراً
قال لها :
أنتِ أجمل من نوّار
وعطرك أعبق من ورده
واسمك شيء من السماء .
فآمنت بما قاله الشاب الخبيث
وركنت اليه

* * *

واخلص لها الشاب شهراً كاملاً كنوار
وفي اول حزيران تركها
أما هي فما زالت ترى أشهر السنة
كلها شهر نوار
وما زال أنفها يعبق برائحة العطر
وقد شمخ هذا الأنف الدقيق
فشوه على دقته الوجه الناصع المستدير

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتمضي الأيام
وشهر نوار لا تفارقها أيامه
الى أن جاءها يوماً شاب بمحياه ورد نوار
فقال لها أحبك
فضحكت من براءة الطفولة الساذجة
ولم تتميز العنفوان في خشوع الشاب
ولم تتفهم إخلاصه
فقال لها : أنا البنفسج بين أناملك
لي الهمس الناعم ، وليس لي الشوك
فقالت له : أنا لا أحب البنفسج
أنا وردة ، ومني عبق الورد ، وشوك الورد
وضحكت من الطفل الشاب .

* * *

ذهب الطفل كسير القلب
وأقسم أن لا يراها
ولكنه أقسم ايضاً ان لا ينساها !
وكان الطفل شاعراً مجهولاً
فأخذ ينشد في الناس مأساته
فاستعذب شعره كل الذين سمعوه
ولقيت به العذارى أميرها الصغير
فأحاطه العذارى ، وكان بينهن
ينشد فيخفقن له

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن قلبه كان مع تلك السيدة ذات الأنف الدقيق
وبكى الكثيرون لقصته
وتناقلتها العذارى همساً
وكن يشرن اليه كلما مرّ ، أو تراءى لمن
أما هو فلم يحفل بأحد
وظل مسترسلاً في نشيد ذلك الحب الطفل
أما هي فما زالت تؤمن بنوار

* * *

وهمس ورد نوار ، في أذنها حفيفاً
لم يستشعر به احد من الناس
حتى ولا الشاب الخبيث
ولكن العذارى رأين الشاب الطفل
يجمع ورقات ورد ، نتفها الخريف
وكان الطفل الشاب يبكي بخشوع وسكون
وهو يجمع تلك الوريقات ويرفعها الى فمه
ويقبلها بشيء من التقديس
فبكت العذارى لبكاء الطفل
الذي نسي الشعر
لأنه أصبح شاعراً كبيرا

الدكتور منير العجلاني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصائر جغرافية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العابري

ان الذي دعا المؤلف الى اصدار هذا الكتاب هو ما رآه من انتشار الإلحاد والفساد في طبقات المثقفين والمثقفات . وقد كان نشر مقالات في بعض الصحف والمجلات ، ثم جرّدها ، وأعاد النظر عليها ، وأضاف اليها الكثير الطيب ، فجاء كتاباً مؤلفاً من أكثر من (٣٥٠) صفحة بالقطع المتوسط ، ونشرته مطبعة التفيّض في بغداد .

اشتمل الكتاب على مقدمة تمهيدية ومطلبين اثنين ، (أو قسمين بتقسيم المؤلف) .

القسم الأول : بصائر (جغرافية) في الإيمان بالله تعالى .

والقسم الثاني : بصائر جغرافية في أن القرآن وحي من الله وفيه «معجزات القرآن العلمية الخالدة» .

أما المقدمة فقد استغرقت (٨٤) صفحة . استهلها المؤلف بنداء الى الشباب المسلم المتعلم ، بوجه أنظارهم الى ما يرمي اليه الاستعمار من سياسة الإفقار والذلة والصغار ، وفيها نصائح ثمينة وتوجيهات سديدة ، للشباب الواعي بنوعيه : الذكور والاناث — وهم عماد الأمة وعتادها — يدعوهم فيها الى التماس أفضل الوسائل واقواها لانقاذ المعذبين في الأرض — من بني قومنا وملتنا — من براثن الاستعمار الظالم الآثم . (وفي المقدمة) أيضاً مسائل مهمة جديرة بالتفكر والتدبر (منها) أن الاسلام والاستعباد لا يجتمعان ، (ومنها) أن ما جاء في القرآن الكريم من آيات العلم الكوني والطبيعي لم يكن لتأصيل قواعد الكيمياء والطب والرياضيات ، والعلوم الأخرى ، ولكنه ورد في سياق الاعتبار ، وفي موارد الارشاد والاستبصار ، وليس في الوحي المنزل ما يتعارض مع قطعيات العلم . وان دراسة العلم الطبيعي عبادة صامتة وتسبيح عملي .

(ومنها) بحث المحكمات والمتشابهات في الآيات القرآنية، وإعجاز الأخيرة خاصة" منها (قال) وكم حكمة في القرآن اذا ما مستها يد العلم، أسفرت اسرارها، وظهرت أنوارها.

ثم عقد المؤلف في القسم الأول — وهو الايمان بالله تعالى — أحد عشر فصلاً، وعدّها بالأرقام، واستنبط من كل منها دليلاً واضحاً على وجود الله، وعلى بالغ حكمته، وسابغ نعمته، وعجيب صنعه وتقديره، وقد وضعنا لها عناوين مأخوذة من مباحثها لتدل عليها في الجملة وهذه هي:

(١) كيفية توزيع اليابس والماء على سطح الأرض. (٢) حكمة زيادة الماء على اليابس بثلاثة أمثال. (٣) التيارات المائية في المحيطات والأبحر، والعوامل في تكوينها. (٤) دنيا المحيطات والأبحر، وفيها ألوف الأنواع والأشكال من الحيوانات البحرية. (٥) الحكمة في وجود التضاريس واختلافها في اليابس. (٦) دقة نظام التوزيع للتضاريس. (٧) قوة الجاذبية التي أدت الى تماسك أجزاء الأرض في دورانها. (٨) ما لظاهر المد والجزر من فوائد صحية وزراعية وتجارية وصناعية. (٩) الهواء المحيط بالكرة الأرضية واتصاله بصميم حياة المواليد الثلاثة. (١٠) الكسوف والخسوف وأسباب حدوثها «الشمس والقمر بحسبان». (١١) ما في اختلاف الليل والنهار واختلاف المواسم من أثر عظيم.

وأما القسم الثاني ففيه المباحث العلمية الفلكية، وهي بجملة في ما يلي، والعناوين للمؤلف:

(١) رأي الإسلام وعلمائه في العالم الشمسي. (٢) شكل الأرض. (٣) أثر الجبال في الحياة. (٤) البرازخ المائية. (٥) الاختلاف في الشروق والغروب. (٦) المناخ في الأرض وخاصة في القمر. (٧) الهواء وضغطه. (٨) المطر في نظر القرآن والعلم. (٩) ظل الأجسام وظل الأرض وظل القمر، وعنوانه: (ظلال الله). (١٠) أيام السيارات، وأيام الأقمار، وأيام الشموس،

وعنوانها : (أيام الله) . (١١) ليل ونهار سرمدان . (١٢) حركة الأرض الانتقالية ورجعة الاعتدالين .. في بحث (الرجع والصدع) . (١٣) قانون الجذب العام . (١٤) الحركة في الكون . (١٥) الكواكب المذنبة ، والشهب والنيازك . (١٦) عظمة الكون . (١٧) مواقع النجوم . (١٨) مصير الجبال يوم القيامة .

هذه المباحث الثانية عشر ، قد فصلت فيها هذه الحقائق الكونية ، وفسرت آياتها تفسيراً ظاهراً ليس فيه اعتساف ولا انحراف ، بل أخذه المؤلف من أمهات كتب التفسير ، كالطبري والقرطبي والكشاف والرازي والبيضاوي ، وأضاف اليه ما استمده من قوى هذا العصر وحقائقه ، وعلومه ومعارفه ، متمشياً مع أساليب اللغة ومعانيها ، وقد ذكر في خاتمة كتابه أن ما جاء به من العلوم الكونية والطبيعية هو من القطعيات التي لا تقبل المراء والجدل ، لا من النظريات التي تكون عرضة للتبدل والتغير مما لا يجوز تطبيقه على الآيات القرآنية .

ومن أمتع ما قرأناه في هذا الكتاب : (ص ٩٠ رقم ٤) : صنته تعالى في تمدد الماء وتجمده . (١٩٧ — ٢٠٣) تفسير الآية الكريمة : « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا » وقد ذكر فيها خمسة وجوه من أبدع الوجوه . (٢١٨ و ٢١٩) وجه دلالة ماء المطر وماء الشرب على إعجاز القرآن ، وتفسير آيتي إزجاء السحاب وانزال الماء من المزن . (الآية ٤٣ من سورة النور و ٦٩ من سورة الواقعة) وانظر ص ٢٢٤ أيضاً . (ص ٢٥٢ — ٢٥٦) تفسير : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » . (ص ٢٦٧ — ٢٧٠) راجع في هذا الفصل الممتع الاتساق المعجز في معناه بين (الرجع والصدع) . (٢٨٥) الحركة المتهادية ومبر التسمية . (٢٩٢) وجه المناسبة بين قوله تعالى : « النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ » . (٢٤٩) ختام التفسير ، وليراجع في تمام تفسير كل آية وجه كونها معجزة إلهية . (٢٩٦) مقدار سرعة الضوء ، وما بيننا وبين أداني الكواكب وأعاليها من المسافات والأبعاد .

والمؤلف الكريم من شيوخ السن والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ، على أساس ديني خال من الشوائب ، وتراه يحرص كل الحرص على ردّ المتعلمين الى حظيرة الدين ، وبدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

أما دعاة الإلحاد والفساد ، فهم :

عميُ القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليـدا

فلو أنهم درسوا مثل هذه «البصائر» لعاد المستعدون منهم الى رشدهم ، وأما من لم يرفعوا بالحق رأساً ، ولم يقيموا له وزنا ، فنرجو منهم - إن كانوا على شيء من العقل والفضيلة - أن ينشروا رأيهم بصراحة مبينين فيه ذرائع النهوض بهذه الأمة العانية ، لتعود أمة ثروة وقوة ، وسيادة وسعادة .

هذا وفي الطبع أغلاط كثيرة اعتذر المؤلف عنها ، وألحقها بجدول بين فيه الخطأ والصواب ، ثم أتبعه بجدول آخر باذلاً الجهد والعناية في التصحيح ، ولكنه على ذلك كله لم يستقص ، واليك مما لم نره في الجدولين :

ص	س	خطأ	صواب
١٢٢	٦	ما ينفع	«بما ينفع»
٢٥٧	٩	الليل	«النهار»
٢٥٧	١١	لعلكم	«ولعلكم»
٢٧٧	٩	بمنا كبها	«في منا كبها»
٢٨٧	٢	الطارق	«والطارق»
٣٢٣	١٠	إذا الجبال	«وإذا الجبال»

هذه الآيات الكريمة وأما الحديث الشريف فمنه ما جاء (في ص ٤ س ١٠) «كاد الفقر أن يكون كفرا» .

قلت : أورده في «كشف الخفاء» للعجلوني بعدة ألفاظ ، ثم قال : وللنسائي وصححه ابن حبان عن أبي سعيد مرفوعا أنه كان يقول : اللهم اني اعوذ بك

من الكفر والفقر ، فقال رجل : ويعتدلان ؟ قال : نعم » ثم قال في الكشف : وهذا أصحها ، وما قبله من المرفوع ضعيف الإسناد .

ونحن نرجو من وزارة المعارف العراقية التي قررت تدريسه في دور المعلمين والمعلمات ، أن تزيد في احسانها فتحقق رجاء المؤلف ورجاءنا معه ، في اعادة طبع « البصائر » بالاتقان المعهود ، وأن تحذو وزارات المعارف في البلدان العربية حذو معارف العراق ، فتدرسه في مدارس التجهيز وفي دور المعلمين والمعلمات ، لبسير رجال المستقبل على هدى الرحمن ، ونور القرآن .

« من هدي القرآن »

تأليف محمد نمر الخطيب

مطبعة اليقظة بدمشق (ص ٢٤٠)

هذا كتاب يدل اسمه على مسماه ، بل يدل عنوان كل فصل منه على معناه ، فمباحثه متوجة بالآيات الكريمة ، ومفسرة تفسيراً عصرياً تتذوقه العقول ، وتألفه النفوس ، لا لبس فيه ولا تعقيد ، ولا جدال في مصطلحات لفظية ولا مراء ، وقد أضاف المؤلف الى الآيات القرآنية ما يناسبها من الأحاديث النبوية ، وبينها بياناً واضحاً ، فجاء مؤلفاً وافياً ، ومن فصوله التي جمعت بين التليد والطريف : « فلسفة الإسراء والمعراج ، محمد رسول العالم ، حقيقة الإيمان بالله ورسوله ، الجهاد بالمال والنفس ، رحمة المؤمنين وشدتهم ، وراثة الأرض ، اقامة العدل ، وجوب الإصلاح ، القرآن يبني المدينة الفاضلة ، المساواة في نظر المسلمين ، مقارنة بيننا وبين الغرب ، تمكين الله للمسلمين في الأرض ، المسئولية في الإسلام ، الإخلاص روح كل شيء » .

وقد شرح الأستاذ هذه الفصول شرحاً يشف عن سلامة ذوق ، وينم عن فضل أدب .

ومنها تحت عنوان بقاء الصالح ما نصه : لقد علم الشارع الحكيم أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون من أي جنس كانوا ، ومن أي لون كانوا ، فما داموا

صالحين لها ، فهي صالحة لهم ، وان الايمان وحده ، أو دعوى الإسلام وحدها ، والصلاة وحدها ، ليست سبيلاً صحيحاً للبقاء في الأرض أو استملاكها ، أو استخراج كنوزها » ثم قال : لقد علم الشارع ذلك فأرشد المسلمين الى الأخذ بالأسباب واستكمال شروط القوة الخ . وقال : لقد وضع الحكيم العليم لهذا الكون سنناً وقوانين من سلكها وصل الى مراده منها ، ومن انحرف عنها انحرفت عنه غايته »

فالمؤلف يستمد كل بحث من حقائق الزمن ، وسنن الله تعالى في الوجود ، فهو كتاب إرشاد وتعليم يوجّه المسلمين وجهة صالحة تسعدهم في الدنيا ، وترشدهم الى معالي الأمور ، وتبعدهم عن سفسافها ، وقد أشار المؤلف الى مواضع الآيات من السور والأجزاء ، وخرّج أكثر الأحاديث ، ولم يتسع وقته لتخريج الباقي ، ولعله يتم تخريجه في طبعة ثانية ويصحح بقية الأغلاط المطبعية وهي لا تخفى .

محمد بهجة البيطار

Corpus inscriptionum semiticarum. pars quinta T. I. fasc. primus.

مجموعة الكتابات السامية

(الكراس الأول من الجزء الأول من القسم الخامس)

تبلغ عدد صفحات هذا الكتاب نحو (٦٥٦) صفحة من القطع الكبير وهو من مطبوعات المجمع العلمي الافرنسي . طبع في باريز سنة ١٩٥٠ .

جمع في هذا الكراس الأستاذ ج . ريكمنس (G. Ryckmans) الكتابات الصفوية التي استنسخها الأساتذة : دوسو (Dussaud) ودونان (Dunand) ودي فوجيه (de Vougüé) ووادنغتون (Waddington) وغراهام (Graham) وبتزستين (Wetzstein) وماسكل وموتيرد (Mascle - Mouterde) وريس (Rees) في رحلاتهم الى حرة الصفا الواقعة في الجنوب الشرقي من دمشق وقد عثر على أكثر هذه الكتابات منبورة على صخورها البركانية بأحرف أبجدية

خاصة بهذه المنطقة وقد حلت رموزها في عام ١٩٠١ ، ويرجع تاريخ هذه الكتابات الى العهد الروماني وتشير أكثرها الى ذكرى وفاة أو ضيافة مسافر او شفاء مريض او تقديم قربان او اغاثة ملهوف او لعن عدو .

وأهم ما في هذه النصوص وفرة أسماء الأعلام والقبائل والأرباب والألفاظ العربية التي تدعونا الى ان نجزم بعروبة كاتبيها وتشهد بأن اللغة الصفوية اقرب اللهجات السامية الى العربية .

كنا نتمنى كما يتمنى كثيرون لو يقلع المجمع العلمي الافرنسي عن تقاليده باستعمال اللغة اللاتينية في نشر أمثال هذه الأبحاث العالمية لتتم فائدتها لاسيما بعد أن زهد بها أكثر أبنائها وقل في العالم عارفوها . ونرحب بهذا السفر الجليل الذي يفيد العرب أكثر من غيرهم ويساعدهم في دراسة تاريخهم وتتبع تطور لغتهم .

G. Ryckmans - Inscriptions Safaïtiques au British Museum et au Musée de Damas. Extrait du Muséon. T. L XIV, 1-2 Louvain 1951.

الكتابات الصفوية في المتحف البريطاني ومتحف دمشق

وهو مقال نشره الأستاذ ريكمنس في المجلد (٦٤) من مجلة موزيون (Muséon) الصادر عام ١٩٥١ وأفرد منه هذه الرسالة التي درس فيها بعض الكتابات الصفوية المحفوظة في المتحفين المذكورين ولم تنشر بعد ولا يوجد في هذه الكتابات من جديد يخرج عن المألوف في مثيلاتها المعروفة وهي تقتصر على تمنيات طيبة لمسافر او مريض او محارب او ميت .

وألفت نظر الأستاذ صاحب المقال الى سقوط العبارة الصفوية (W'l Snm) من الترجمة الافرنسية في الكتابة الواردة في ص : ٩٠ دمشق ١٣٠٩٤ .

نشكر للأستاذ اهتمامه بجمع هذه الكتابات المشتتة لتضم الى ماسبق له جمعه منها .

تاريخ الحرم القدسي

لمؤلفه عارف العارف

طبع في القدس سنة ١٩٤٧ في نحو ١٢١ صفحة من قطع الوسط وزين بصور كثيرة

ترك لنا السلف كتباً كثيرة عن المسجد الأقصى ، فمنهم من تناول الناحية الدينية وعدد فضائل هذا المكان الشريف ، ومنهم من تناول وصف بنائه وذكر محاسنه ، ومنهم من تناول الناحيتين الدينية والعمرانية معاً . ورغب المؤلف ان يلحق بهذه المجموعة هذا الكتاب الذي دون فيه طواري، الحدثان التي ألمت بهذا المكان وتطور بنائه تدويناً متسلسلاً وجمع فيه تاريخ الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك وما بينهما وحولها من مبان وآثار معتمداً على أصدق الأخبار وأوثق المصادر وما تبقى من الكتابات المحفوظة على الجدران والأبواب والقباب والمنابر والسبلان بعد أن حققها بنفسه وأوضح ما غمض من نقاطها .

وقد جاء في الحاشية (٨) من الصفحة (١٠) (الادم : جمع ادام وهو الشيء الذي يؤكل مع الخبز مهما كان) مع ان الصواب هنا : الادم جمع الاديم وهو الجلد المدبوغ .

ونقل في ص (١٨) : وصف المقدسي للمسجد الأقصى متصرفاً بعبارته دون ان يشير لذلك واستبدل فيها المقايس الاسلامية بالمتر والسنتمتر .

وقد عرب في ص : (١٩) ما نقله بالانكليزية الكبتين كرزويل عن ابن الأثير وكان يستحسن أن ينقل عبارة ابن الأثير لا تعريبها عن لغة أجنبية .

وهذا الكتاب هو من خير ما وضع بالعربية في هذا الموضوع فقد جمع فيه الأستاذ المؤلف زبدة ما كتبه المسلمون والمفيد مما كتبه الغربيون ، فجاء بوفرة مادته مرجعاً تنتفع به العامة ولا غنى عنه للخاصة .

جعفر الحسني

مجموعة مؤلفات

للسيد عبد الحميد الخطيب (الحجازي)

(١) تفسير القرآن صدر منه الى اليوم ثلاثة أجزاء خص كل جزء من القرآن بجزء من التفسير وعلى هذا فسيكون تفسيره في ثلاثين جزءاً وكل جزء في أكثر من مائتي صفحة ٠

(٢) جزء صغير في ٣٢ صفحة سماه (تحية الحبيب) وهو يتضمن ثلاث تحايا أو قصائد في مدحه ﷺ وقد تخللها قصيدة ثالثة ضمنها (التوسل بأسماء الله الحسنى) افتتحها بمقدمة ذكر فيها السبب الذي حمله على نظم هذه القصائد وخلاصته ان سورياً أخبره بأن وهابياً سمعه يقول في مسجد مكة (الصلاة والسلام عليك يارسول الله) فلم يرض الوهابي ذلك منه : فالمؤلف أوضح في مقدمته هذه استنكار ما أخبره به السوري وأثبت أن الأمر بخلاف ما قال ، ونظم القصائد المذكورة مدحاً له ﷺ ونشرها على مرأى ومسمع من بعض السعوديين الذين رضوها واستحسنوها ٠

(٣) جزء صغير كالذي قبله أودعه ثلاث قصائد اثنتين منها عارض بها همزية الأبوصيري وبردته باسم (نهج البردة) و (همزية الخطيب) وقصيدة ثالثة بعنوان (أحبك يا ربي) ومطلعها :

(أحبك يا ربي وأشعر أنني بعينيك ملحوظ فأفرح في سري)

(٤) جزء بعنوان (العهد الذهبي لحكم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود) افتتحه بمقدمة اهداء الى جلالة الملك ثم برسم جلالته ثم أفاض بسيرة حياته المفعمة بالبطولة والاهتمام بإسعاد شعبه ثم بخلاصات في ترجمة اخوته وأنجاله : الأمير سعود وصورته ، والأمير فيصل وصورته ، والأمير منصور وصورته ، والأمير عبد الله الفيصل وصورته ٠ وختم الجزء بصورة وزير المالية (عبد الله بن سليمان) ٠

وهكذا انتهى الكتاب من دون أن ينسى المؤلف وصف تقوى الملك وديمقراطيته وشرحه للمدنية الصحيحة ولأسباب تأخر المسلمين ٠ والمجمع يشكر للمؤلف صنعه وهديته ٠

من صميم الحياة

اسم لكتيب جميل الطبع حسن التبويب جمع فيه مؤلفه السيد حمدي عبيد كلمات له في الأخلاق والمواعظ من مثل : « الحض على الصدق ، وتجنب الخمرة ، واختلاط الجنسين ، والمرأة والتقليد ، وتربية الأولاد ، والرحمة والتقوى ، ومن هو أسعد الناس ؟ والعلم والعمل الخ » . ثم عقب هذه الكلمات النافعة بخطب وأحاديث للمؤلف كان أذاع بعضها في اذاعة دمشق . وموضوعاتها من جنس موضوعات كتابه المذكورة ومنها : « المرأة بين القديم والحديث ، وذكرى المولد النبوي » وغير ذلك مما ينبغي اطلاع الجمهور عليه فيستفيد منه المطالع ويتقوم على ثقافته الناشيء . ومن حسن الكتاب لطف حجمه بحيث يصحبه القارىء في جميع حالاته .

المغربي

وضع الاقتصاد العربي
لمحمد سعيد الزعيم

الأستاذ الزعيم لولب الحركة الاقتصادية في حلب لذلك تتوالى مقالاته ومحاضراته ، وآخر ما ظهر من منشورات الغرفة التجارية (سنة ١٩٥٢) كتاب : (وضع الاقتصاد العربي ، ونمو الاقتصاد العربي) وفيه محاضرتان للأستاذ الزعيم . لخص الأستاذ في المحاضرة الأولى : الاتفاقات التجارية التي جرت بين البلاد العربية ، بعد الحرب العالمية الأولى ، بالتاريخ والأرقام ، وعرض لمعرفة تأثير الأجنبي في الديار العربية .

ثم بحث عن التبادل التجاري بين الأقطار العربية بالأرقام والسنين ، وبين ضعف ذلك التبادل ونصح بضرورة توثيق عرى العروبة اقتصادياً .

ثم تناول التوجيه الاقتصادي في بلاد العرب : في الانتاج الزراعي والصناعي ، ودرجة نموه فيها ، وبين قوة ارادة العرب ونضالهم في الحياة وذكاءهم وابتكاراتهم ، ونصح بضرورة الوحدة الاقتصادية ، لقوة العرب سياسياً واقتصادياً ، وقال :

« وان بلاداً كانت موحدة اقتصادياتها في زمن المماليك لحري بها أن تتحد اقتصادياً في زمن الرؤساء الميامين الذين حرروا الوطن العربي » .

والمحاضرة الثانية : تتضمن نمو الاقتصاد العربي ، وقد بين كيفية نموه ، والروح السياسية التي سيطرت عليه ، وضرر الانتداب فيه ، والحرب العامة الثانية وأموالها ، والصناعات الحديثة في الأقطار العربية ، وحالة التجارة الخارجية من سنة ١٩٢٥ حتى ١٩٥١ وكيف نمت وترعرعت ، وأشار الى مقادير النقد المتداول فيها .

وبحث عن الأراضي الزراعية العربية والمشاريع الجديدة المنتجة فيها ، ومساحاتها ومحاصيلها ، وأهم أنواعها ، وموازنة الديار العربية ، وما ينفق منهـا على التعليم والزراعة والكهرباء الخ .... والمصانع وأنواعها وانتاجها وتكاثرها ، والتعامل التجاري بين ديار العرب والديار الأجنبية ، وسكان الأقطار العربية قديماً وحديثاً ، ودخلها السنوي ، وماشيتها ، وحالة العمران في الجزيرة العربية .

ثم تعرض لبحث موقف العرب اقتصادياً من اسرائيل ، والتقدم الصناعي في اسرائيل ، ودسائس اليهود في الديار العربية ومنافستهم الصناعية لها ، وما قاله : « فليحذر العرب اذاً المستقبل ولا تغشهم اذاعات السوء عن مستقبل اسرائيل وعليهم ألا يغتروا وألا يطمئنوا ، فالحديد لا يفله إلا الحديد ، والعلم لا يحارب بالجهل .

وهنا بحث عن الدخل الوطني وزيادته وذلك : « لرفع مستوى أفراد الشعب في زيادة معدل الدخل الوطني للفرد وعدالة التوزيع بين أبناء الشعب الواحد » . ثم حض العرب على الأعمال الاقتصادية ونصحهم : « بالتمسك بأهداب الوعي القومي وسلطان القانون وتوطيد العدل وتشجيع الأعمال الحرة والعمل الاقتصادي الجماعي وتنمية الثروات عن طريق زيادة الانتاج ورفع مستوى العمل » .

وفي الحق ان الأستاذ الزعيم قد وفق في تينك المحاضرتين اللتين تغنيان عن مجلد كبير ، لما فيهما من المادة الغزيرة والتوجيه الاقتصادي الواقعي ، وانا لنشكره عليهما .

منير الشريف

كتاب الموفي في النحو الكوفي

بقلم الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة

عصفت حوادث الأيام بآثار نحاة الكوفة فحرمنا متعة الاستماع الى حديثهم في كتبهم ومعرفة كيف يصورون آراءهم بأقلامهم ويفصحون عنها بأسلوبهم ويحتجون لها ويدافعون عنها .

وليس فيما وصلنا من كتب المتقدمين من نحاة البصرة استعراض الا للقليل من آراء أهل الكوفة فشيخ الصناعة سيبويه لم يعرض إلا للقليل منها وكذلك صنع ابو العباس المبرد في كتابه المقتضب و كان يتحاشى في الغالب التصريح باسمهم فيعبر عنهم بقوله ذهب جماعة من النحويين أو قوم من النحويين أو بعض من النحويين .. وهكذا قدر للنحو الكوفي أن يظل مبعثراً في بطون كتب نحاة البصرة يذكر فيها لغرض تضعيفه وتوهينه غالباً حتى جاء كمال الدين ابو البركات الأنباري وألف كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » .

وهو خير ما وصلنا من الكتب التي عرضت لهذا الموضوع ، لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً في سبيل الاستدلال والاحتجاج لمسائل كل من المذهبين ، على أنه شايع البصريين في كثير من مسائل كتابه الذي حوى ١٢١ مسألة ، لم ينتصر فيها للكوفيين الا فيما يقرب من عشر مسائل .

وهل في شرعة الانصاف أن يعتسف فتضعف قراءة سبعية متواترة ويحتج بأحاديث موضوعة ، وكل ذلك في سبيل ترجيح مذهب البصريين على الكوفيين ؟ وقد عرض السيوطي بإيجاز في كتابه الأشباه والنظائر لطرف من مسائل الخلاف بين المذهبين . وإذا أردنا أن نرسم صورة واضحة لمذهب الكوفي فليس أمامنا من سبيل إلا جمع أقوالهم المبثوثة المنثورة في أضعاف كتب النحو . و كذلك فعل مصنف « الموفي » فحشد في كتابه قدراً وافراً من مسائل النحو الكوفي وحاول تصويره جهد طاقته وان كان لم يحاول الاستيعاب والاستقصاء .

وما من شك في أن عشاق الدراسات النحوية سيرحبون أجمل ترحيب بطبع هذا الكتاب وسيحمدون للمجمع العلمي العربي جهده في إخراجه ، والكتاب يعتبر دعامة قوية في بناء النحو الكوفي .

وقد تكلف المصنف الإيجاز في أسلوبه فجاء كتابه بمثابة رموز وإشارات ، وما أشبه أسلوبه بأسلوب المتون المعقدة . على أنه قد ذكر مسائل كثيرة هي محل اتفاق من جميع النحويين .

أما جهد الأستاذ البيطار فهو جهد مشكور ، لم يدخر وسعاً في سبيل تجلية رموز الكتاب والإبانة عن مقاصده ، حتى زاد الوافي بهذه الشروح أضعافاً ، وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها . كما ترجم لكثير من أعلام النحويين وغيرهم ، وشرح كثيراً من الشواهد شرحاً مجزئاً ، وأتى بزيادات استتماماً للفائدة ، فعل ذلك في حروف العطف ص ٦٢ وحروف النداء ص ٦٦ والترخيم ص ٦٩ وما يتعلق بفعل الشرط وجوابه ص ١١١ .

وقد حقق الأستاذ بعض الأقوال بما يشهد له بسعة الاطلاع ، تراجع هذه الصفحات ٢٩ ـ ١٠٠ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وكم وددت أن يشير الأستاذ البيطار الى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموفي وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين وهي إلى أن تضاف الى نحاة البصرة أقرب من إضافتها الى نحاة الكوفة لسبق البصريين وتقدمهم في وضع النحو وتقنين مسائله [1] .

محمد عبد الخالق عضيمة

(١) يرى القارئ الجواب على ملاحظات الأستاذ في باب الآراء والأنباء من هذا الجزء . (المجمع)

آراء وأنباء

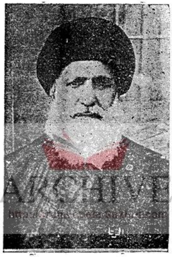

السيد محسن الأمين

صرف العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله وقته ونفيس عمره بالاشتغال بالعلم درساً وتحصيلاً ، وتعليماً وتصنيفاً ، وطبعاً لمؤلفاته ومؤلفات بعض المتقدمين النافعة ، فنشر عشرات الكتب الدينية والتاريخية والأدبية ، وأنشأ بهمته العالية ومساعيه الحميدة المدرستين المحسنية واليوسفية للذكور والإناث في حي الأمين ، وألف بعض الكتب المدرسية في الأدب والدين .

كان الفقيد العظيم فقيهاً أصولياً ، عالماً مؤرخاً ، أديباً متفنناً ، باحثاً مجتهداً نظّاراً . ومن أجلّ الكتب التي ألفها في العهد الأخير ، تاريخه الكبير الذي سماه «أعيان الشيعة» وقد نشر منه حتى الآن (٣٥) جزءاً . رتبه على حروف المعجم ، وقدم له مقدمة في مجلد حافل ، وهو الجزء الأول من هذا الكتاب وفيه كل ما للإمامية الاثني عشرية من أخبار وآثار . ومن أهم ما جاء فيه وأنفسه ما كتبه المؤلف تحت عنوان (نصيحة مهمة) وجه فيها النصح والتذكير إلى قومه العرب واخوانه المسلمين سنيين وشيعيين دعاهم فيه الى الكف عن معاداة بعضهم لبعض ، وعن القدح والتضليل ، والطعن والتشهير ، وقد آن لهم أن يعلموا أن الذي فرق بينهم هو السياسة ، وأنها تقضي عليهم اليوم باتفاق الكلمة ، لاسيما وهم إخوان في الدين . وجاء في هذه النصيحة ما نصه : وأنتم أيها الاخوان الشيعيون عليكم أن تعملوا بما أمركم به إمامكم إمام أهل البيت جعفر بن محمد الصادق من التحبب الى اخوانكم أهل السنة من زيارتهم ، والصلاة في جماعاتهم ، وتشييع جنائزهم ، وعيادة مرضاهم ، وتجنب كل ما يوغر صدورهم ، حتى يقولوا : رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه ، ثم أوصى جميع المسلمين بمعاملة أبناء وطنهم بالرفق واللين ، واستشهد بخطاب الله لنبيه بقوله : «وجادلهم بالتي هي أحسن» وختم هذه الوصية القيمة بالدعاء لله سبحانه أن يوفق الجميع لما فيه الصلاح والإصلاح .

هذا وقد انتخب الفقيد الجليل عضواً في المجمع العلمي العربي في ٩ المحرم سنة ١٣٦١ و ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ فحضر بعض جلساته ، واستمع لمحاضراته ، وكتب ما عُهد اليه به في مجلته ، وها هي ذي ترجمته التي كتبها بخطه وكانت محفوظة في خزانة المجمع العلمي بين تراجم إخوانه الأعضاء :

(نسبه)

هو محسن ابن الشريف السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن العلامة الفقيه المحدث السيد ابي الحسن موسى ابن العالم السيد حيدر ابن السيد احمد ابن السيد ابراهيم الحسيني الحلي العاملي المنتهي نسبه الى الحسين ذي العبرة ابن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ٠

(مولده)

ولد بقرية شقراء من جبل عاملة التابعة قضاء مرجعيون من عمل بيروت سنة ١٢٨٤ هجرية وبها نشأ ٠

(تحصيله)

قرأ أولاً في مدارس جبل عاملة النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه وأصول الدين ودعي الى الامتحان في بيروت للاعفاء من الخدمة العسكرية خمس سنين فأجاب فيها ٠

ثم هاجر الى العراق سنة ١٣٠٨ هجرية لطلب العلم وتوطن النجف فأتم بها قراءة علي الأصول على مشاهير علمائها استدلالاً موجزاً ثم استدلالاً تاماً حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى ونال الشهادة بذلك من مشاهير المجتهدين وأُجيز بالرواية وتخرج عليه في جبل عاملة والنجف كثير من الطلاب هم من أفاضل العلماء ٠ وبقي في النجف الى سنة ١٣١٩ هجرية ثم جاء الى دمشق فتوطنها ولم يزل الى اليوم وهو ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ هجرية وقد أشرف على الثمانين مجداً في المطالعة والتأليف والتصنيف ونشر العلم والتدريس والوعظ والتذكير والسعي في المصالح العامه بهمة لا تعرف الكلال ، معرضاً عما سوى ذلك من أمور الدنيا ، نقول هذا تحديثاً بنعمه تعالى ٠

(أعماله الخيرية العامة)

أنشأ بدمشق سنة ١٣٢١ (المدرسة المحسنية) للذكور واشترى لها بمساعدة أهل الخير دارين فخمتين وتمكن من ايجاد أوقاف لها تزداد سنة فسنة . وأنشأ بعدها بمدة قليلة (المدرسة اليوسفية) للاناث التي اشتراها وقام بنفقاتها المحسن الشهير الحاج يوسف بيضون وأسس بدمشق (جمعية الاحسان) لمساعدة الفقراء وهي أول جمعية اسلامية خيرية أسست بهذا البلد الطيب . ثم أسس (جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام) .

(انزواؤه)

هو في جل أوقاته منزو في منزله مشغول بالمطالعة والتأليف والتصنيف وأجوبة المسائل معرض عن معاشرة الناس وقد دعي مراراً لتولي أعلى المناصب الدينية في الدولة فأبى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(تأليفه بين المسلمين)

وقد سعى جهده وبما في وسعه في كل فرصة وعند كل مناسبة في التأليف بين طوائف المسلمين حتى أزال كثيراً من سوء التفاهم وقرب بين القلوب وظهرت ثمرات جهوده في ذلك .

(أسفاره)

حج بيت الله الحرام وزار المدينة الطيبة سنة ١٣٢٠ — ١٣٢١ هجرية ثم حج ثانياً بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ — ١٣٤١ ومرّ بمصر القاهرة في كلا السفرين . وزار المدينة المنورة بالقطار الحديدي من دمشق مرتين وزار بيت المقدس مرتين . وفي سنة ١٣٥٢ — ١٣٥٣ سافر الى العراق وايران وزار الأماكن المقدسة

وعرج على أكثر مدن المملكتين وأقام فيها وزار خزائنها الكبيرة والصغيرة واطلع على ما فيها من المؤلفات المخطوطة النادرة ونقل منها كثيراً لمؤلفاته واستنسخ عدةً من الكتب المخطوطة النادرة النفيسة واشترى بعضها وبقي في هذه السفرة نحواً من ١١ شهراً لم يأل فيها جهداً في التفتيش والتنقيب وعمل فيها رحلةً مطولة .

(مؤلفاته)

ألَّف في أنواع العلوم ما يزيد على مائة وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة وبعضها طبع مراراً . وأكثرها لا ينقص عن ٥٠٠ صفحة وجملة منها لم يؤلف مثلها في معناها . ومن أهمها كتاب أعيان الشيعة الذي طبع منه حتى الآن ١٧ مجلداً أكثرها يزيد عن ٥٠٠ صفحة الى ٨٠٠ صفحة ولم يتجاوز المطبوع حرف الجيم الى جندب بن جنادة والباقي كل مواده جاهزة .

السيد محسن الأمين الحسيني العاملي (١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموفي في النحو الكوفي

كتب الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في الموفي وشرحه في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة نقدات ومما قال في شرح كتاب الموفي: « وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها » وقد وصف (الموفي وشرحه) بذلك أحسن وصف ، واكتفى — على ما يظهر — بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وهذه هي :

قال الأستاذ : وكم وددت أن يشير الأستاذ البيطار الى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها (الموفي) وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم ؟ بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين ... (ثم قال) وأكتفي بالإشارة الى بعضها . أقول :

(١) كانت وفاته في (٥) رجب سنة ١٣٧١ هـ . رحمه الله .

إني تتبعت في ما كتبت قول المؤلف : « أما بعد فهذا كتاب « نحو » وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدتها أهملت ... الخ » فكان نظري مصروفاً الى ما قاله المؤلف ، والواقع أن في بعض المباحث التي أوردها اتفاقاً بين النحويين ، ولكن لا في كل ما تعقبنا به الأستاذ عضيمة من « المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموفي » وقال عنها « واكتفي بالإشارة الى بعضها » .

وأنا الآن أشير الى بعض ما أشار الأستاذ اليه ، وقال إنه متفق عليه ، (أي بين المذهبين البصري والكوفي) وأقتصر من ذلك كله على ما جاء في « الموفي » وتعليقاتي عليه ، من الخلاف الذي ذكرته (ناقلاً لا قائلاً) وأغفل ذكره الأستاذ أو جعله موضع وفاق :

وأول ما أذكره مما ادعى الاتفاق عليه بين النحويين « مواضع تأنيث الفعل للفاعل ، وتقديم الفاعل على المفعول » ص ٢٢ اهـ مكتفياً بهذا القدر ، من دون نقد ولا نقل ولا تعليق ، أما أنا فاني نقلت الخلاف في كلتا المسألتين كما تجده في الموفي وشرحه ، فالخلاف في التقديم والتأخير عن (حاشية الصبان ٢/٤٢) والخلاف في تأنيث الفعل من (المنار على التوضيح ١/٢١١) انظر ص : ٢١ و ٢٢ من الموفي بشرحه .

قال : « وتقديم المبتدأ وحذفه » نقلت عن الأنباري قوله : ذهب الكوفيون الى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفرداً كان أو جملة أي خلافاً للبصريين ، وأورد حجج كل من القولين على عادته . ص ٢٦ من الموفي . في بحث (المجرورات) في الموفي وشرحه (٤٩ — ٥٢) لم يشر الى الخلاف الوارد في ص ٥٠ — ٥١ ، واكتفى بالإشارة الى المتفق عليه في مبحث (الإضافة) وهو في باب (المجرورات) ، وهل يكلف صاحب (الموفي) رحمه الله ، وهو يؤلف في (النحو الكوفي) أو شارحه ، أن ينص في كل باب من أبواب الكتاب على كل ما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه ؟ حسب المؤلف أن تكون رسالته في النحو الكوفي ، ومصطلحات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهله في أبوابه دون النظر في الجزئيات المتفق عليها أو المختلف فيها ، إذ أن هذا عمل آخر يحتاج الى كتاب مستقل .

قال الأستاذ : نداء ما فيه « ال » ص ٦٦ (قلت) فيه خلاف أوردت شواهده في نفس الصفحة .

قال : الاستثناء المتصل والمنقطع والمُفرَّغ ، قلت هي قضايا برهانها معها كما يقول المناطقة ، وانظر الخلاف فيها معزواً الى أهله في (ص ٧١ — ٧٢) .

قال : كثير من شروط عمل المصدر محل اتفاق . قلت : قد أشرنا الى ما فيه الخلاف ، وعلم منه الاتفاق فيما عداه .

قال : فصل الضمير ومجيء نون الوقاية في بعض الأسماء ، قلت : ذكرنا الخلاف في فصل الضمير (ص ٩٤ — ٩٥) .

قال : نواصب المضارع ص ١١٤ قلت : ذكرنا الخلاف في نفس الصفحة ، والمذاهب في ص ١١٥ .

قال : حروف الجر واستعمالها : ١٣٦ — ١٤٤ قلت : ياسبحان الله بل هي مملوءة بالخلاف ، وقد ذكرناه وعزوناه (انظر ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤) فكيف أغفل الأستاذ ذكره ؟

قال : مواضع كسر همزة إنّ : وجواز الوجهين ص ١٤٨ ... الخ قلت : بل هي ملأى بالخلاف أيضاً ، وانظره في بعض مواضع الكسر ، وفي إعمالها إذا خففت من الثقيلة ، وفي مدخولها أيضاً (١٤٨ — ١٥١) .

قال : « يشترط البصريون لزيادة : مِن شرطين : ١ — أن يسبقها نفي أو شبهه ٢ — تنكير مجرورها ، ولم يشترط الأخفش الشرطين . أما الكوفيون ، فلم يشترطوا الشرط الأول ، واشترطوا (فقط) تنكير مجرورها (من حق فقط أن تؤخر ، وأن يقال : واشترطوا تأخير مجرورها فقط ، كما هو ظاهر) مستدلين بقول العرب : قد كان من مطر ، قلت : جاء في الرضي (٢/ ٣٠٠)

ما نصه : والكوفيون والأخفش لا يشترطون ذلك استدلالاً بقوله تعالى : « يغفر لكم من ذنوبكم » فمِن في حيز الإيجاب وهي داخلة على المعرفة » اه ولم نعد في حاجة الى نقل تعليقة الأستاذ في هذه المسألة على الموفي وشرحه ، من بعد أن نقلنا كلام الرضي بنصه ، وهو مما لم يتيسر له الاطلاع عليه .

قال : وأعتقد أن ذكر اسم المفعول هنا (ص ١٨) سبق قلم ، فهو إنما يرفع نائب الفاعل . قلت : إنما فسرت شبه الفعل ، ومنه اسم المفعول الذي يرفع نائب الفاعل ، وقد جاء تحت عنوان (المرفوعات) وأما ابو الحسن (الأخفش الأوسط) فهو تلميذ سيبويه ، وشيخه هو ابو الخطاب (الأخفش الأكبر) كما قال الأستاذ ، ونحن نقلنا عبارة الصبان في حاشيته (١/٢١٥) ونصها : والأخافشة ثلاثة ، لكن المراد عند الإطلاق : أبو الحسن شيخ سيبويه ، قاله الشيخ يحيى » .

والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً الى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كل فله منا أعطر الشكر .

محمد بهجة البيطار

أوهام في قانون ابن سينا

طالعت أكثر من مرة قانون ابن سينا فوجدت طبعة مصر أصح من طبعة رومة وطبعات الهند ، ومع ذلك فقد عثرت في الطبعة المصرية على أغلاط كثيرة ، منها أغلاط مطبعية لا تتسع هذه المقالة لذكرها كلها . أذكر منها على سبيل المثال : مضائلة : صحيحها متضائلة (الجزء الأول ، الصفحة ١٨ ، السطر ٤) . تسميها عصبانية المرائي : صحيحها نسميها عصبانية المرأى (١ ، ٢٠ ، ١٠) . فالجذب المطاول : الليف المطاول (١ ، ٢٣ ، ٨) . تنجذب : تنحدب (١ ، ٣١ ، ٢٩) . ان للرأس حركات خاصية : خاصة (١ ، ٤٢ ، ٣٢) .

وهكذا كل ما أذكره من الجزء الأول · طروخاطير : طروخانطير (ص١٥ س١٣) · تنبت : تنبت (٢٢،٥٢) · التوانه : التوائه (٢٥،٥٥) · مسقفها : مسقفها (٦،٦٣) · الاسليم : الأسيلم (١٥،٦٥) · اطروقيا : اطروفيا (٢٩،٦٧) · الخادمة : الجاذبة (١٣،٦٨) · افراد حمرة الخد : افراط (٢٥،٧٣) · انجذاب الأظفار : انحداب (٢٩،٧٣) · نزعان : نوعان (١٥،٧٤) · المتشابهة الأجزاء : غير متشابهة الأجزاء (٢١،٧٤) · عدم القرحة : عدم الفرجة (١،٧٥) · سمي جزا : جزءاً (٣٢،٧٥) · الأرنبة : الأربية (٥،٧٧) · التهيج : التهبج (٢٦،٧٧) والتهبج Boursouflure انما وردت غلطاً فيها وكتبت تهيج ... الخ ·

ومنها أغلاط أصلية اكثرها في الكلمات الأعجمية من يونانية وغيرها · اذكر منها على سبيل المثال أيضاً من الجزء الأول فقط : بقرانيطس : بغرانيطس (١٩:٧٩) · كالفأن : كالصفان (١٠،٧٨) · القرحة السيروتية : الخيرونية (٢٧،٧٨) · الدرباج : الزيرباج (٢٧،١٦٨) · الاسفيذاج : الاسفيداباج (٢٢،١٧٠) · ديابيطس : ذيابيطس (٢٨،٢٤١) · فرساموس : فريافيسموس (٣،٢٤٢) · اغلاجون : اغلوخون Agallochum (٢٦،٢٥١) · طعمعون : طقسيقون Toxicon (٣٢،٢٥٢) · ابو حلسا : انخسا Anchusa (٢٧،٢٦٠) · اسيوس : اسوس Issos (٢٧،٢٦٢) · اندروصارون : اندروصامون Androsemum (٢١،٢٦٣) · المليون : القاوون (١٨،٢٧٠) · ابلقطون : ابلقطرون (١٦،٢٨٤) · البلاد التي يقال لها فارتا : قاريا (٣٠،٢٨٥) · كاليافسيا : كالثافسيا (٢٣،٢٩٠) · الكركند : الكنكرزد (٢٦،٣١٩) [1] · برماهن : نرماهن (٢،٣٢٣) · طرغافيثا :

(١) وهو صمغ نبات العكوب ·

طراغاقنثا Tragacanthe (٢٣١ ، ٣٠) . نبطافيلون : بنطافيلون (٢٣٤ ، ٢٧) . فرمسي اعربا : فرمبي آغريا (٣٤٦ ، ١٦) . انتصاب النفث : النفس (٣٥٢ ، ١٣) ... الخ .

ومن الأغلاط ، ذكره في حرف الفاء الـ (القفلاميتوس) Cyclaminus وهو بقافين . فكان يجب ذكره في حرف القاف . وهذا الغلط يدلّ صراحةً على أن ابن سينا كان يجهل اليونانية .

عدا ذلك ، وجدت أوهاماً واقعة في التأليف نفسه . ذكر في (١ ، ٢٥١ ، ٢٦) الاغلاجون وصحيحه : الاغلاخون Agallochum وقال عنه : هو خشب يؤتى به من بلاد الهند وبلاد الغرب (كذا : العرب) فيه صلابة ، منقط طيب الرائحة له قشر كأنه الجلد موشّى بألوان مختلفة اذا مضغ أو تمضمض بطبيخه ، يطيب النكهة .

وفي (١ ، ٤٥٤ ، ٣٣) ذكر (اغالوجي) ولا شكّ في انه الاغلاخون المار الذكر ، فقد قال عنه : خشب هندي او اعرابي عطر الرائحة موشى الجلدة يدخل في العطر ... المضمضة بطبيخه يطيب النكهة .

مثال آخر : جاء في (١ ، ٣٦١ ، ٤٠ ، ١٥) (عاليون) (كذا : صحيحه غاليون Galium) قال : ومن الناس من يسميه غاليون وقوم يسمونه غالاربون واشتقاق الاسمين جميعاً من اجماد اللبن لأنه يجمده كالأنفحة .... طيب الرائحة ... زهره اذا تضمد به نفع من انفجار الدم ... وورقه ينفع من حرق النار .

وفي ص (١ ، ٤٦٩ ، ١٨) (غاليون) (وهو الصحيح) دواء طيب الرائحة مجفف يجمد اللبن .... ينفع من انفجار الدم . مع حدة يسيرة . زهره نافع لانفجار الدم . قد يظنّ ان هذا الدواء يشفي من حرق (النار) .

ووهم آخر (في حور رومي) (ص ٣٢١ من عين الجزء الأول) (هو الاملاء

الصحيح) لكن ورد في ٢٨٤ (جوز رومي) وهذا غلط . وفي ص ٣٢٣ عاد الى الصواب فكتب (حور) .

لا أدري كيف وقعت هذه الأوهام . هل نقل أبوعلي من كتب شتى وجدها في خزانة كتب الملك الساماني ، وكان في بعضها تحريف ، نقل على عجل ولم يفطن له ؟ أم دسّ بعده في متن قانونه بعض الفضوليين هذه الصور المحرفة ظناً منهم انها صحيحة وانها فاتت ابن سينا ؟ اني لا أنفي الاحتمال الثاني ولكني أرجح الاحتمال الأول اذا لم يكن في كلّ هذه الأوهام ففي بعضها .

اقتصرت في هذه العجالة على ذكر بعض الأوهام الواردة في الجزء الأول من القانون لا كلها ، ولم أتعرض لأوهام الجزئين الآخرين .

(الموصل) **الدكتور داود الجلبي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وتعليقات

(المشاركة في المجلة لا الاشتراك)

١ — أرى أن يترك قول ادارة المجلة «قيمة الاشتراك السنوي» ويكتب مكانه «قيمة المشاركة السنوية» لأن «الاشتراك» لا يكون الا من أكثر من اثنين والمشاركة تكون من واحد توحدت أجزاؤه أو تعدّد ، وقد نبهت على هذا الوهم قبل سنين فأخذت أكثر المجلات والجرائد تضع «المشاركة» مكان «الاشتراك» وصار أكثر الكتاب يقولون «شارك فلان يشارك» بدلاً من «اشترك» فلان ، ومما يوضح قبح استعمال «اشترك واشتراك» للواحد أنك لا تقول «احترب فلان ولا اقتتل ولا اقتسم» وتسكت ، بل عليك أن تقول «احترب فلان وفلان واقتتلا واقتسما» . ويؤيد ما قلناه قولهم «كان

فلان مشاركاً في علم كذا وفن كذا » وهو أشهر من أن يؤتى له بنصوص ، قال ابن السيد البطليوسي « يريد أن الكاتب ينبغي أن تكون له مشاركة في جميع المعارف »[١] .

(البواقيل لا البراميل)

٢ — وجاء في المجلة[٢] قول أبي نواس :

فمن رأى النيل رأي العين عن كثب   فما أرى النيل إلا في البراميل

والرواية المعروفة « البواقيل » قال الشريف المرتضى ناقلاً « وقف ابونواس بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذه التمساح فقال :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية   مذ قيل لي إنما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأي العين من كثب   فما أرى النيل إلا في البواقيل

قال الصولي : والبواقيل سفن صغار ... وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره ، وهذا مثل قول ابن الرومي :

أمزّ به في الكوز مزّ المجانب

وإنما أراد : إنني لا أسرّ بماء النيل إلا اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك . وأظن أنه استمرّ عليه الوهم من جهة قوله « فما أرى النيل » وصرف ذلك الى أنه أراد النيل على الحقيقة ، وإنما أراد ماء النيل . وما علمت أن السفن الصغار يقال لها « بواقيل » إلا من قول الصولي هذا . ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر . وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله

---

(١) الانتضاب في شرح أدب الكتاب « ص ١٤ » طبعة المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠١ م .

(٢) المجلد « ٢٦ ج ٢ ص ١٦٣ » .

« فمن رأى النيل رأي العين من كثب » ، ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كثب، ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائياًله من كثب » (١) .

وقال ابن قتيبة « والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها وزيادة أوله وآخره معها ولا تكون التماسيح الا فيه ، قال الشاعر : أضمرتُ ... في البواقيل » (٢) قال ناشر الكتاب « البوافيل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : البراقيل بالراء وفسر الخفاجي بأنه جمع برقال وقال : إنه كوز من الزجاج ولم نجد هذين البيتين في ديوان ابي نواس وهو الذي نسب له البيتان » .

فشارح عيون الأخبار لم يطلع على البيتين في أمالي المرتضى ولا على شرحه ونقده الواضحين .

(تكلم عليه لا عنه)

٣ — وجاء في المجلة (٣) « فتكلموا عن حماسة الخالديين » والصواب « على حماسة » ويؤيد قولنا ما قاله الخالديان أنفسهما في « ص ١٨٦ » وهو « ونتكلم على المعاني المخترعة ، والمتبعة ولا نجمع نظائر البيت في مكان واحد » .

(اتفق هو وكذا)

٤ — وفي ص ١٨٩ « والتي تتفق وطبيعة سير الشعر العربي » . والفصيح « تتفق هي وطبيعة » لأن عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المستتر

(١) أمالي المرتضى « ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٤ » .
(٢) عيون الأخبار « ج ٣ ص ٢٧٩ » .
(٣) مج ٢٦ ج ٢ ص ١٨٤ . وقد كرر ذلك في ص ١٨٩ : « بدأ المؤلفون يطيلون الكلام عن المعاني » والصواب « على المعاني » .

أو المتصل يستلزم الفصل بالضمير المنفصل أو ما يقوم مقامه من حرف أو اسم أو ظرف .

(فلان مفتنّ لا متفنّن)

• — وورد في ص ٢٩٦ « فقد جاء في بعض كلام الدكتور الركابي : « شاعر مفتن » والذي رأيته في القاموس المحيط للفيروزآبادي « افتنّ » ولم أر « افتنّ » ومعنى « افتنّ » أخذ في فنون القول فهل أراد الدكتور « افتنّ » فأضاف الطابع نقطة الى النون فصارت « افتن » أم إنه يجد وجهاً لاستعماله ؟

قلت : لا شك في أن الذي رآه هذا الفاضل في قاموس الفيروزآبادي إنما هو « تصحيف » وأن الصحيح ما استعمله الدكتور الركابي من الافتنان . « وافتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته » اذا جاء بالأفانين وهو مثل « اشتق » قال أبو ذؤيب : « فافتنّ بعد تمام الورد ناجية »

وقال الزمخشري في أساس البلاغة « وافتنّ في الحديث وتفنن فيه ... وافتنّ في جريه » . وقال أمين الدولة محمد بن محمد العلوي الأفطسي « يقال رجل مفتن أي يأخذ في كل ناحية وطريق من العلم وهو مدح فاذا ذموه قالوا فلان متفنن أي مختلف الأمر ، مأخوذ من الفَنَن وهو الغصن وذلك أن الفصنة تذهب مذاهب مختلفة على غير استقامة » (١) ، والنصوص على ذلك متوفرة ومتوافرة .

يتبع : (بغداد) الدكتور مصطفى جواد

---

(١) المجموع اللطيف ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٣٣٨٨ ور ١٨٧ » .